الوارث
توزع مجاناً
٤٥
شوال ١٤٣٣
آب- ايلول ٢٠١٢
مجلة شعرية دينية ثقافية تصدر عن
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في العتبة الحسينية المقدسة

الأمانة العامة
العتبة الحسينية المقدسة

عيد سعيد

الإشراف العام
الشيخ علي الفتلاوي

رئيس التحرير
السيد نبيل الحسني

مدير التحرير
الشيخ وسام البلداوي

هيئة التحرير
محمد رزاق السعدي
السيد حسين الزاملي

التدقيق اللغوي
خالد جواد العلواني

التصميم والإخراج الفني
السيد علي ماميثة
أحمد محسن المؤذن

تنفيذ
مطبعة دار الضياء

محتويات العدد

٢ **قطوف دانية من السيرة الحسينية**
التوحيد ومعرفة الله تعالى عند الإمام الحسين عليه السلام

٤ **شبهات حول القرآن**
الفرق بين القرآن والتوراة في شخصية الإنسان

٦ **على ضفاف نهج البلاغة**
ملامح حكومة عمر في نهج البلاغة -الحلقة الثانية-

٨ **مدارات فكرية في مدرسة العترة النبوية**
ما يعاين المؤمن والكافر
عند الموت وحضور الأئمة عليهم السلام عندهم

١٠ **أخلاقك هويتك**
الخوف من الله أفضل الفضائل

١٢ **مباحث عقائدية**
العدل الإلهي

١٤ **أعلام الشيعة**
آية الله الشيخ محمد القمي المعروف بالأرباب (قدس سره)

١٦ **معاجز أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم**
شجرة اللوز المزروعة بيد الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه المباركة

١٧ **من مناهل مدرسة الدعاء**
على مائدة الصحيفة السجادية -الحلقة السادسة عشرة-

١٨ **فقه الأسرة وشؤونها**
مسؤولية الأب في بناء الأسرة

٢٠ **عبر من التاريخ**
العلماء الحقيقيون يزدادون تواضعاً كلما ازدادوا علماً

٢١ **معارف عامة**
الصداع

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
-وزارة الثقافة لسنة ١٢١١:٢٠٠٩

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦-داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email:info@imamhussain-lib.org

كلمة العدد

العيد الحقيقي

خرج المؤمنون من شهر مبارك أيامه صبر وجهاد للنفس، ولياليه عبادة وتضـرع وعروج، فكان للصوم فيه الكثـير من الفوائد البدنية المادية، إلا أن فلسـفة الصـوم واضحـة للجميـع، إذ يـراد من الصوم التشـبه بأخـلاق الملائكـة الذيـن لا يأكلون ولا يشـربون ولا يمارسـون اللذات الجسـدية، ويراد منه أيضا، تذكر الفقراء وتجسـيد حياتهم تجسيدا عمليـا ليرق قلـوب الأغنياء فيبادروا إلى العطف عليهم ومواسـاتهم، ويراد منه تذكر جوع وعطش يوم القيامة لكي يكون ذلك التذكر حافزا للاسـتعداد والتجهـز للقاء ذلك اليـوم، فنأمل خـروج الناس من هذا الشـهر الشريف وقد زكت نفوسهم وطهرت قلوبهم وتساقطت ذنوبهم وقويـت علـى الطاعـة جوارحهم وعلـى العزيمة الصادقـة جوانحهم، ونتمنـى لهم أن حققوا الانتصار الكبير على الشـيطان ليكون مفتاحاً لانتصـارات قادمة على مدار السـنة إلى شـهر رمضـان القابل، فإذا تحقـق مـن الصوم ما تقـدم صار العيـد عيداً حقيقيـا وليس رخصة للأكل والشرب واللذات لأنه سيكون مدخلا إلى العيد الحقيقي الذي هو نيل رضا الله تعالى يوم القيامة بعد العرض عليه.

المشرف العام

التوحيد ومعرفة الله تعالى عند الإمام الحسين عليه السلام

قال الإمام الحسين عليه السلام:

«أيُّها النَّاسُ! اتَّقُوا هؤُلاءِ المارِقَةَ الَّذينَ يُشْبِّهُونَ اللهَ بِأنْفُسِهِمْ، يُضاهؤُنَ قَوْلَ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ أهْلِ الكِتابِ، بَلْ هُوَ اللهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ، لا تُدْرِكُهُ الأبْصارُ وَهُوَ اللَّطيفُ الخَبيرُ.

اسْتَخْلَصَ الوَحْدانِيَّةَ وَالْجَبَروتَ، وَأمْضَى المَشيئَةَ وَالإرادَةَ وَالقُدْرَةَ وَالْعِلْمَ بِما هُوَ كائِنٌ، لا مُنازِعَ لَهُ في شَيْءٍ مِنْ أمْرِهِ، وَلا كُفْوَ لَهُ يُعادِلُهُ، وَلا ضِدَّ لَهُ يُنازِعُهُ، وَلا سَمِيَّ لَهُ يُشابِهُهُ، وَلا مِثْلَ لَهُ يُشاكِلُهُ، لا تَتَداوَلُهُ الأمُورُ، وَلا تَجْري عَلَيْهِ الأحْوالُ، وَلا تَنْزِلُ عَلَيْهِ الأحْداثُ، وَلا يُقَدِّرُ الواصِفُونَ كُنْهَ عَظَمَتِهِ، وَلا يَخْطُرُ عَلَى القُلُوبِ مَبْلَغُ جَبَرُوتِهِ؛ لأنَّهُ لَيْسَ لَهُ في الأشْياءِ عَديلٌ، وَلا تُدْرِكُهُ العُلَماءُ بِأَلْبابِها، وَلا أهْلُ التَّفْكيرِ بِتَفْكيرِهِمْ إلاّ بِالتَّحْقيقِ إيقاناً بِالْغَيْبِ؛ لأنَّهُ لا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنْ صِفاتِ المَخْلُوقينَ، وَهُوَ الواحِدُ الصَّمَدُ، ما تُصُوِّرَ في الأوْهامِ فَهُوَ خِلافُهُ.

لَيْسَ بِرَبِّ مَنْ طُرِحَ تَحْتَ البَلاغِ، وَمَعْبُودٍ مَنْ وُجِدَ في هَواءٍ أوْ غَيْرِ هَواءٍ، هُوَ في الأشْياءِ كائِنٌ لا كَيْنُونَةَ مَحْظُورٌ بِها عَلَيْهِ، وَمِنَ الأشْياءِ بائِنٌ لا بَيْنُونَةَ غائِبٌ عَنْها، لَيْسَ بِقادِرٍ مَنْ قارَنَهُ ضِدٌّ أوْ ساواهُ نِدٌّ، لَيْسَ عَنِ الدَّهْرِ قِدَمُهُ، وَلا بِالنّاحِيَةِ أمَمُهُ، احْتَجَبَ عَنِ العُقُولِ كَما احْتَجَبَ عَنِ الأبْصارِ، وَعَمَّنْ في السَّماءِ، احْتِجابُهُ كَمَنْ في الأرْضِ، قُرْبُهُ كَرامَتُهُ وَبُعْدُهُ إهانَتُهُ، لا يُحَلُّ (في)، وَلا تُوقِّتُهُ (إذا)، وَلا تُؤامِرُهُ (إنْ)، عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ، وَمَجيئُهُ مِنْ غَيْرِ تَنَقُّلٍ، يُوجِدُ المَفْقُودَ وَيُفْهِدُ المَوْجُودَ، وَلا تَجْتَمِعُ لِغَيْرِهِ الصِّفَتانِ في وَقْتٍ، يُصيبُ الفِكْرُ مِنْهُ الإيمانَ بِهِ مَوْجُوداً، وَوُجُودُ الإيمانِ، لا وُجُودَ صِفَةٍ بِهِ تُوصَفُ الصِّفاتُ لا بِها يُوصَفُ، وَبِهِ تُعْرَفُ المَعارِفُ لا بِها يُعْرَفُ، فَذلِكَ اللهُ لا سَمِيَّ لَهُ، سُبْحانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ».

وعن الخزاز القمي: حدثنا الحسين بن علي، قال: حدثنا هارون بن موسى، قال: حدثنا محمد بن الحسن، قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن يعقوب ابن يزيد، (عن محمد بن أبي عمير)، عن هشام، قال:

كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام إذ دخل عليه معاوية بن وهب وعبد الملك بن أعين، فقال له معاوية ابن وهب: يا ابن رسول الله! ما تقول في الخبر الذي روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رآى ربّه، على أيّ صورة رآه؟ وعن الحديث الذي رووه أنّ المؤمنين يرون ربّهم في الجنّة، على أيّ صورة يرونه؟

فتبسّم عليه السلام ثم قال:

«يا فلان! ما أقبح بالرجل يأتي عليه سبعون سنة، أو ثمانون سنة يعيش في ملك الله ويأكل من نعمه، ثم لا يعرف الله حقّ معرفته!».

ثم قال عليه السلام:

«يا معاوية! إنّ محمداً صلى الله عليه

وآله وسلم لم ير ربّه تبارك وتعالى بمشاهدة العيان، وإنّ الرؤية على وجهين: رؤية القلب، ورؤية البصر، فمن عنى برؤية القلب فهو مصيب، ومن عنى برؤية البصر فقد كفر بالله وبآياته، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من شبّه الله بخلقه فقد كفر، ولقد حدثني أبي، عن أبيه، عن الحسين بن علي عليهم السلام قال:

سُئِلَ أميرُ المؤمنينَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقيلَ لَهُ: يا أخا رَسُولِ اللّه! هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟

فقالَ: وَكَيْفَ أعْبُدُ مَنْ لَمْ أرَهُ، لَمْ تَرَهُ العُيونُ بِمُشاهَدَةِ العِيانِ ولكن رأتْهُ القُلوبُ بحَقائِقِ الإيمانِ، وَإذا كانَ المُؤْمِنُ يَرَى رَبَّهُ بِمُشاهَدَةِ البَصَرِ فَإنْ كانَ مَنْ جازَ عَلَيْهِ البَصَرُ وَالرُّؤيَةَ فَهُوَ مَخْلُوقٌ، ولابدّ للمَخْلُوقِ مِنَ الخالِقِ.

فقد جعلته إذا محدثا مخلوقاً، ومن شبّهه بخلقه فقد اتّخذ مع الله شريكاً، ويلهم، أو لم يسمعوا بقول الله تعالى:

((لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ))[1].

وقوله تعالى: ((...لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ...))؟! وإنّما طلع من نوره على الجبل كضوء يخرج من سمّ الخياط، فدكدكت الأرض وصعقت الجبال: ((...وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ...))، أي ميّتاً: ((...فَلَمَّآ أَفَاقَ ...))، وردّ عليه روحه: ((...قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ...))، من قول من زعم أنّك ترى، ورجعت إلى معرفتي بك أنّ الأبصار لا تدركك: ((...وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ))، وأوّل المقرّين بأنك ترى ولا تُرى، وأنت بالمنظر الأعلى.

ثم قال عليه السلام: إنّ أفضل الفرائض وأوجبها على الإنسان معرفة الربّ والإقرار له بالعبوديّة، وحدّ المعرفة أنّه لا إله غيره، ولا شبيه له ولا نظير له، وأنّه يعرف أنّه قديم مثبت، بوجود غير فقيد، موصوف من غير شبيه، ولا مبطل:

((...لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ))[2].

وبعده معرفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والشهادة له بالنبوّة، وأدنى معرفة الرسول؛ الإقرار به بنبوّته، وأنّ ما أتى به من كتاب، أو أمر، أو نهي فذلك عن الله عزّ وجل.

وبعده معرفة الإمام الذي به يأتمّ بنعمته وصفته واسمه في حال العسر واليسر، وأدنى معرفة الإمام، أنّه عدل النبيّ - إلاّ درجة النبوّة - ووارثه، وأنّ طاعته طاعة الله وطاعة رسول الله، والتسليم له في كلّ أمر والردّ إليه والأخذ بقوله، ويعلم أنّ الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّ ابن أبي طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ أنا، ثمّ من بعدي موسى ابني، ثمّ من بعده ولده عليّ، وبعد عليّ محمّد ابنه، وبعد محمّد عليّ ابنه، وبعد عليّ الحسن ابنه، والحجّة من ولد الحسن عليهم السلام».

ثم قال:

«يا معاوية! جعلت لك في هذا أصلاً فاعلم عليه، فلو كنت تموت على ما كنت عليه لكان حالك أسوأ الأحوال، فلا يغرّنّك قول من زعم، أنّ الله تعالى يُرى بالبصر».

قال:

وقد قالوا أعجب من هذا، أو لم ينسبوا أبي آدم إلى المكروه؟ أو لم ينسبوا إبراهيم عليه السلام إلى ما نسبوه، أو لم ينسبوا داود عليه السلام إلى ما نسبوه من حديث الطير؟ أو لم ينسبوا يوسف الصدّيق عليه السلام إلى ما نسبوه من حديث زليخا؟ أو لم ينسبوا موسى عليه السلام إلى ما نسبوه؟ أو لم ينسبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما نسبوه من حديث زيد؟ أو لم ينسبوا عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى ما نسبوه من حديث القطيفة؟ إنّهم أرادوا بذلك توبيخ الإسلام ليرجعوا على أعقابهم، أعمى الله أبصارهم كما أعمى قلوبهم، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً».

وعن الصدوق قال: حدثنا أبو العباس محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي الله عنه، قال: حدثنا أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي البصري بالبصرة، قال: أخبرنا محمد بن زكريا الجوهري الغلابي البصري، قال: حدثنا العباس بن بكار الضبي، قال: حدثنا أبو بكر الهذلي، عن عكرمة، قال: بينما ابن عباس يحدّث الناس إذ قام إليه نافع بن الأزرق، فقال: يا ابن عباس! تفتي في النملة والقمّلة؟! صف لنا إلهك الذي تعبده، فأطرق ابن عباس إعظاماً لله عزّ وجل، وكان الحسين بن علي عليهما السلام جالساً ناحية، فقال عليه السلام:

«إليَّ، يا ابنَ الأزْرَقِ!».

فقال: لست إيّاك أسأل.

فقال ابن العبّاس: يا ابن الأزرق! إنّه من أهل بيت النبوّة، وهم ورثة العلم.

فأقبل نافع بن الأزرق نحو الحسين عليه السلام، فقال له الحسين عليه السلام:

«يا نافِعُ! إنَّ مَنْ وَضَعَ دينَهُ عَلَى القِياسِ لَمْ يَزَلِ الدَّهْرَ في الارْتِماسِ، مائِلاً عَنِ المِنْهاجِ، ظاعِناً في الإعْوِجاجِ، ضالاً عَنِ السَّبيلِ، قائِلاً غَيْرَ الجَميلِ، يَا ابنَ الأزْرَقِ! أصِفُ إليكَ بما وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَأعرِّفُهُ بما عَرَّفَ بِهِ نَفْسَهُ، لا يُدْرَكُ بِالْحَواسِّ، وَلا يُقاسُ بالنّاسِ، فَهُوَ قَريبٌ غَيْرُ مُلْتَصِقٍ، وَبَعيدٌ غَيْرُ مُنْتَقَصٍ، يُوَحَّدُ وَلا يُبَعَّضُ، مَعْرُوفٌ بِالآياتِ، مَوْصُوفٌ بِالْعَلاماتِ، لا إلهَ إلاّ هُوَ الْكَبيرُ الْمُتَعالُ».

فبكى ابن الأزرق وقال: يا حسين، ما أحسن كلامك؟!، قال له الحسين عليه السلام:

«بَلَغَني أنَّكَ تَشْهَدُ عَلى أبي وَعَلى أخي بِالْكُفْرِ وَعَلَيَّ؟

قال ابن الأزرق: أما والله، يا حسين! لئن كان ذلك لقد كنتم منار الإسلام، ونجوم الأحكام، فقال له الحسين عليه السلام:

«إنّي سائِلُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ؟».

قال: اسأل، فسأله عن هذه الآية:

((وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ ...))[3].

قال عليه السلام:

«يا بْنَ الأزْرَقِ! مَنْ حُفِظَ في الغُلامَيْنِ؟».

قال ابن الأزرق: أبوهما، قال الحسين عليه السلام:

«فَأبُوهُما خَيْرٌ أمْ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَ(آلِه) وَسَلَّمَ؟».

قال ابن الأزرق: قد أنبأنا الله تعالى أنّكم قوم خصمون!

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.
(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٨٢.
المصدر: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٦٣٩ - ٦٤٥.

الفرق بين القرآن والتوراة في شخصية الإنسان

مميزات الإنسان الفطرية في القرآن

امتاز الإنسان في ذات وجوده بميزات لم يحظ بها غيره من سائر الخلق.

فقد شرّفه الله بأن خلقه بيديه، فقال: ((قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ)).

(خطابا لإبليس)، والله خالق كل شيء، فلابدّ أن تكون هناك خصوصيّة في خلق هذا الإنسان تستحقّ هذا التنويه، هي خصوصيّة العناية الربانية بهذا الكائن، وإبداعه نفخةً من روح الله دلالةً على هذه العناية!

قال العلامة الطباطبائي: نسبة خلقه إلى اليد تشريف بالاختصاص كما قال: ((فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ)).

وتثنية اليد كناية عن الاهتمام البالغ بخلقه وصنعه، ذلك أن الإنسان إذا اهتم بصنع شيء استعمل يديه معا عناية به)[1]

وهكذا نفخة الروح الإلهية فيه كناية عن جانب اختصاص هذا الإنسان ـ في أصل فطرته ـ بالملأ الأعلى حتى ولو كان متخذا ـ في جانب جسده ـ من عناصر تربطه بالأرض، فهو في ذاته عنصر سماوي قبل أن يكون أرضياً.

ولقد خلق الإنسان من عناصر هذه الأرض ثمّ من النفخة العلوية التي فرقت بينه وبين سائر الأحياء، ومنحته خصائصه الإنسانية الكبرى، وأولها القدرة على الارتقاء في سلم المدارك العليا الخاصة بعالم الإنسان.

هذه النفخة هي التي تصله بالملأ الأعلى،وتجعله أهلا للاتصال بالله، وللتلقي عنه ولتجاوز النطاق المادي الذي تتعامل فيه العضلات والحواس، إلى النطاق التجريدي الذي تتعامل فيه القلوب والعقول، التي تمنحه ذلك السر الخفي الذي يسير به وراء الزمان والمكان،ووراء طاقة العضلات والحواس، إلى ألوان من المدركات وألوان من التصورات غير المحدودة في بعض الأحيان.

وبذلك استحقّ إيداعه أمانة الله التي هي ودائع ربانية لها صبغة ملكوتية رفيعة أودعت هذا الإنسان دون غيره من سائر المخلوق، وتتلخص هذه الودائع في قدرات هائلة يملكها الإنسان في جبلته الأولى التي أهلته للاستيلاء على طاقات كامنة في طبيعة الوجود وتسخيرها حيث يشاء.

إنها القدرة على الإرادة والتصميم، القدرة على التفكير والتدبير، القدرة على الإبداع والتكوين، القدرة على الاكتشاف والتسخير، إنها الجرأة على حمل هذا العبء الخطير، قال سيد قطب: إنها الإرادة والإدراك والمحاولة وحمل التبعة، هي هي ميزة هذا الإنسان على كثير من خلق الله، وهي هي مناط التكريم الذي أعلنه الله في الملأ الأعلى وهو يسجد الملائكة لآدم، وأعلنه في قرآنه وهو يقول:

((وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا)).

فليعرف الإنسان مناط تكريمه عند الله، ولينهض بالأمانة التي اختارها، التي عرضت على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها.[2]

إنها أمانة ضخمة حملها هذا المخلوق الصغير الحجم الكبير القوى القويّ العزم. ومن ثم كان ظلوما لنفسه حيث لم ينهض بأداء هذه الأمانة كما حملها، جهولاً لطاقاته هذه الهائلة المودعة في وجوده وهو بعد لا يعرفها.

وهكذا علمه الأسماء: القدرة على معرفة الأشياء بذواتها وخاصياتها وآثارها الطبيعية العاملة في تطوير الحياة، التي وقعت رهن إرادة الإنسان ليسخّرها في مآربه حيث يشاء، وبذلك يتقدّم العلم بحشده وجموعه في سبيل عمارة الأرض وازدهار معالمها، حيث ارادة الله من هذا الإنسان:

((...هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا...)).

وبذلك أصبح هذا الإنسان ـ بهذه الميزات ـ خليفة الله في الأرض، حيث يتصرف فيها وفق إرادته وطاقاته المودعة فيه، ويعمل في عمارة الأرض وتطوير الحياة.

وإسجاد الملائكة له في عرصة الوجود، كناية عن إخضاع القوى النورانية برمتها للإنسان،تعمل وفق إرادته الخاصة من غير ما تخلف، في مقابلة القوى الظلمانية (إبليس وجنوده) تعمل في معاكسة مصالحه إلاّ من عصمه الله من شرور الشياطين (إن عبادي لي لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا).

كما أن تسخير ما في السماوات وما في الأرض جميعاً، كناية عن إخضاع القوى الطبيعية المودعة في أجواء السماوات والأرض ـ لهذا الإنسان، تعمل فور إرادته بلا فتور ولا قصور، ومعنى تسخيرها له:

أن الإنسان فطر على إمكان تسخيرها.

فسبحانه من خالق عظيم، إذ خلق خلقا بهذه العظمة والاقتدار الفائق على كل مخلوق!

هذه دراستنا عن الإنسان على صفحات مشرقة من القرآن الكريم، فيا ترى أين يوجد مثل هذه العظمة والتبجيل لمخلوق هو في هندامه صغير وفي طاقاته كبير، كبرياءاً ملأ الآفاق!

أتزعم أنك جسمٌ صغيرٌ
وفيك انطوى العالم الأكبر

فتبارك الله أحسن الخالقين بخلقه أحسن المخلوقين!

خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي!

حديث قدسي معروف خطابا مع بني آدم، حيث كانوا هم الغاية من الخليقة، كما كانت الذات المقدّسة هي الغاية من خلقة الإنسان! فكما أنّ الأشياء برمتها ـ علواً وسفلاً ـ سخّرها الله لهذا الإنسان لتكون في قبضته فتتجلى فيها مقدرته الهائلة، كذلك خلق الإنسان ليكون مظهراً تامّاً لكامل قدرته تعالى في الخلق والإبداع.

ما من مخلوق ـ صغير أو كبير ـ إلا وهو مظهر لتجلي جانب من سمات الصانع الحكيم (وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد)، أما الإنسان فكان المرآة الصقيلة التي تتجلى فيها جميع صفات الجمال والجلال.

فإذا سئلت: ما هي الغاية من خلق ما في السماوات وما في الأرض جميعاً؟ قلت ـ حسب وصف القرآن ـ: هو الإنسان ذاته مستودع أمانات الله وليكون خليفته في الأرض!

وإذا سئلت: ما هي الغاية من خلقة الإنسان ذاته؟ قلت: هو الله الصانع الحكيم، حيث الإنسان بقدرته على الخلق والإبداع أصبح مظهراً تامّاً لكامل الأسماء والصفات، فكان وجه الله الأكمل وعين الله الأتمّ!

فكان الإنسان غاية الخليفة، وكان الله الغاية من خلق الإنسان، فالله هو غاية الغايات وبذلك ورد: (كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لكي أعرف).

حيث الإفاضة ـ وهي تجلي الذات المقدسة ـ كانت بالخلق والإبداع ومظهره الأتم هو الإنسان.

الحفاظ على كرامة الأنبياء

يمتاز القرآن بالحفاظ على كرامة الأنبياء، بينما التوراة تحطّ من كرامتهم.

لم يأت ذكر نبي من الأنبياء في القرآن إلاّ وقد أحاط بهم؛ هالة من التبجيل والإكرام، كما ونزّههم عن الأدناس على وجه الإطلاق.

خذ مثلاً سورة الصافات جاء فيها ذكر أنبياء عظام مرفقا بعظيم الاحترام.

((وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ))، إلى قوله: ((إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ)) الآيات: ٧٥ ـ ٨١ من سورة الصافات.

وقال تعالى في كتابه الكريم في السورة نفسها من الآية ٨٣ ـ ١١٣.

((وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ))، إلى قوله: ((وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ)).

وقوله سبحانه وتعالى:

((وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ))، إلى قوله: ((إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ)).

وقال تعالى:

((وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ))، إلى قوله: ((إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ)).

وهكذا كلما يمرّ ذكر نبي تصحبه لمة من الإجلال والتكريم.

وأمّا التوراة فلا تمرّ فيها بقصة من قصص الأنبياء إلاّ وملؤها الاهانة والتحقير، وربّما بلغ إلى حدّ الابتذال والتعيير مما لا يليق بشأن عباد الله المخلصين!

نبي الله إبراهيم عليه السلام لم يكذب قط ـ نعوذ بالله ـ

جاء في أحاديث العامة برواية أبي هريرة ـ وهي أشبه بالإسرائيليات ـ أن إبراهيم عليه السلام كذب ـ نستجير بالله ـ ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله: قوله: (إني سقيم) وقوله: (بل فعله كبيرهم هذا)، والثالثة بأن سارة: (أنها أخته) ـ نعوذ بالله ـ.

وفي حديث الشفاعة برواية أبي هريرة أيضا: أن أهل الموقف يأتون الأنبياء واحدا بعد واحد يستشفعون منه، حتى يأتون إبراهيم فيأبى معتذراً: إني كذبت ثلاث كذبات ولست هناكم.

وقد وصفت لجنة مشايخ الأزهر هذه الروايات بالصحاح، وعارضت الأستاذ عبد الوهاب النجار استنكاره لهذه المفتريات.

قلت: وحاشا إبراهيم الخليل عليه السلام ـ الداعي إلى الحنيفية البيضاء ـ أن ينطق بكذب، وإنما كذب عليه بلا ريب، والرواية عامية الإسناد لا اعتداد بها في هكذه مجالات.

ولقد أجاد الرازي حيث قال: فلأن يضاف الكذب إلى رواة هذا الخبر أولى من أن يضاف إلى الأنبياء، وأخذ في تأويل الموارد الثلاثة، وأضاف قائلا: وإذا أمكن حمل الكلام على ظاهره من غير نسبة الكذب إلى الأنبياء فحينئذ لا يحكم بنسبة الكذب إليه إلا زنديق.

أما قوله: (إني سقيم) فلعله أراد وهن حالته الجسدية مما كان يرى قومه على عمه الغباء، وقد أحس ألما شديدا انتاب قلبه المرهف تجاه تلكم الجهالات العارمة.

وأما قوله: (بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون) فقولة قالها مستهزئا بهم مستخفا عقليتهم الكاسدة.

والكذب لا يكون إلا لغرض التمويه، أما إذا كان السامعون عارفين بواقع الأمر وأن إبراهيم لم يقصد الحقيقة وإنما أراد التسفية من عقولهم محضا لهذا لا يعد كذبا، لأن الكذب إخبار في ظاهر غير مطابق للواقع، وهذا إنشاء لمحض التسفيه والهزء بهم، والإنشاء لا يحتمل الصدق والكذب، فتدبر.

وأما الثالثة ـ بشأن سارة أنها أخته ـ فحديث خرافة يا أم عمرو!

---

(١) تفسير الميزان: ج١٧، ص٢٣٩.
(٢) في ظلال القرآن: ج٢٢، ص٤٧.
المصدر شبهات وردود حول القرآن الكريم للشيخ محمد هادي معرفة: ص٢٣ ـ ٢٩.

ملامح حكومة عمر في

ذكرنا في العدد السابق بعض ملامح حكومة عمر بن الخطاب ونمط ادارته للدولة الاسلامية، وحان الوقت لمعرفة بعض نماذج الفضاضة الأخلاقية التي كانت مسيطرة على شخصية وسلوكيات عمر بن الخطاب، فقد أُلفت عدّة كتب. سواء كتب الحديث أو التاريخ. من علماء العامة بشأن عمر ابن الخطاب فحكت الكثير من قصصه التي تعكس بمجموعها المزاج الحاد والغلظة التي كانت مسيطرة على تصرفاته ولا سيما إبان خلافته، والتي تكشف عن مدى دقة عبارات الإمام عليه السلام في وصف خصائصه.و ممّا لا شك فيه أنّ خروقاته في هذا المجال كثيرة نكتفي ببعض نماذجها:

عمر بن الخطاب يجلد ويسب من يسأله عن تفسير آيات القرآن

روى المرحوم العلاّمة الأميني في المجلد السادس من كتاب الغدير عن مصادر العامة المعروفة من قبيل سنن الدارمي وتأريخ ابن عساكر وتفسير ابن كثير وإتقان السيوطي والدر المنثور وفتح الباري عدّة قصص مروعة بشأن عمر بن الخطاب والرجل الذي يدعى «صبيغ العراقي». فالذي تفيده السير التاريخية أنّه كان رجلاً بحاثة كثيرا ما يسأل عن الآيات القرآنية، غير أنّ عمر كان يجابهه بكل عنف بما يدعو للدهشة والعجب ومن ذلك.

ما عن السائب بن يزيد قال: أتي عمر ابن الخطاب فقيل: يا أمير المؤمنين! إنا لقينا رجلا يسأل عن تأويل مشكل القرآن فقال عمر: اللهم مكني منه. فبينما عمر ذات يوم جالسا يغدي الناس إذ جاء الرجل وعليه ثياب وعمامة صفدي حتى إذا فرغ قال: يا أمير المؤمنين والذاريات ذروا فالحاملات وقرا، فقال عمر أنت هو؟ فقام إليه وحسر عن ذراعيه فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك ألبسوه ثياباً واحملوه على قتب وأخرجوه حتى تقدموا به بلاده ثم ليقم خطيب ثم يقول: إن صبيغاً ابتغى العلم فأخطأ فلم يزل وضيعاً في قومه حتى هلك وكان سيد قومه.

وعن أنس: (إن عمر بن الخطاب جلد صبيغا الكوفي في مسألة عن حرف من القرآن حتى اضطربت الدماء في ظهره).

وعن الزهري: (إن عمر جلد صبيغا لكثرة مساءلته عن حروف القرآن حتى اضطربت الدماء في ظهره).

وعن أبي العديس قال: (كنا عند عمر بن الخطاب فأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين! ما الجوار الكنس؟ فطعن عمر بمخصرة معه في عمامة الرجل فألقاها عن رأسه فقال عمر: أحروري؟ والذي نفس عمر بن الخطاب بيده لو وجدتك محلوقا لأنحيت القمل عن رأسك). (كنز العمال ١ ص ٢٢٩ نقلا عن الكنى للحاكم، الدر المنثور ٦ ص ٣٢١).

وعن عبد الرحمن بن يزيد: (إن رجلا سأل عمر عن فاكهة وأبا فلما رآهم يقولون أقبل عليهم بالدرة).

وأول من ضرب عمر بالدّرة أم فروة بنت أبي قحافة، حينما مات أبو بكر فناح النساء عليه، وفيهنّ أخته أم فروة، فنهاهنّ عمر مراراً، وهنّ يعاودن، فأخرج أمّ فروة من بينهن،وعلاها بالدّرة، فهربن وتفرّقن.

كان يقال:
درّة عمر أهيب من سيف الحجاج. وفي الصحيح أنّ نسوةً كنّ عند رسول الله صلى الله عليه وآله قد كثر لغطهنَّ، فجاء عمر فهربْنَ هيبة له، فقال لهنّ: يا عُديّات أنفسهن! أتَهبْنَني ولا تهبنَ رسول الله! قلن: نعم، أنت أغلظ وأفظ.

العثار والاعتذار في حكومة عمر بن الخطاب

قال ابن أبي الحديد: (ومرّ يوماً بشابّ من فتيان الأنصار وهو ظمآن، فاستسقاه، فجدع له ماء بعسل فلم يشربه، وقال: إنّ الله تعالى يقول: (أَذهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ في حَياتِكُمُ الدُّنْيا) فقال له الفتى: يا أمير المؤمنين، إنّها ليست لك ولا لأحد من هذه القبيلة، اقرأ ما

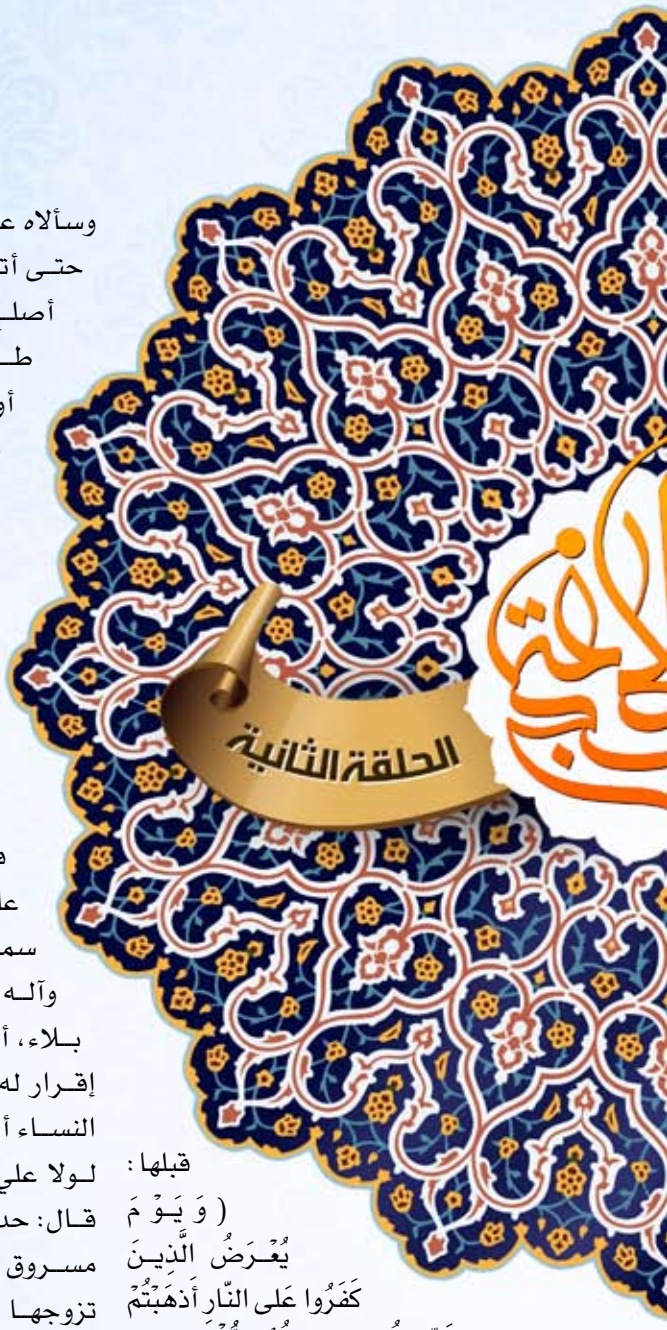

قبلها :

(وَ يَوْ مَ
يُعْرَضُ الَّذِينَ
كَفَرُوا عَلى النّارِ أذهَبْتُمْ
طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا) فقال عمر: كلّ الناس أفقه من عمر! وقيل: إنّ عمر كان يعس بالليل، فسمع صوت رجل وامرأة في بيت، فارتاب فتسوّر الحائط، فوجد امرأة ورجلاً، وعندهما زقّ خمر، فقال: يا عدوّ الله، أكنت ترى أنّ الله يسترك وأنت على معصيته! قال: يا أمير المؤمنين، إن كنت أخطأت في واحدة فقد أخطأت في ثلاث، قال الله تعالى: (ولا تَجَسَّسوا)، وقد تجسَّس. وقال: (وأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها)، وقد تسوّرت، وقال: (فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا)، وما سلّمت!(شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ١٨٢).

وأخرج الحافظان الدراقطني وابن عساكر: إن رجلين أتيا عمر بن الخطاب وسألاه عن طلاق الاَمَة فقام معهما فمشى حتى أتى حلقة في المسجد فيها رجل أصلع فقال: أيّها الأصلع! ما ترى في طلاق الاَمَة؟ فرفع إليه رأسه ثم أومأ إليه بالسبابة والوسطى فقال لهما عمر: تطليقتان، فقال أحدهما: سبحان الله جئناك وأنت أمير المؤمنين فمشيت معنا حتى وقفت على هذا الرجل فسألته فرضيت منه أن أومأ إليك، وأتي عمر ابن الخطاب بامرأة حامل قد اعترفت بالفجور فأمر برجمها فتلقاها علي فقال: ما بال هذه؟ فقالوا: أمر عمر برجمها فردها علي وقال: قد كان ذلك. قال أو ما سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: لاحَّد على معترف بعد بلاء، أنّه من قيد أو حبس أو تهدد فلا إقرار له، فخلا سبيلها ثم قال: عجزت النساء أن تلدن مثل علي بن أبي طالب، لولا علي لهلك عمر. وأخرج ابن مبارك قال: حدثنا الأشعث عن الشعبي عن مسروق قال: بلغ عمر أنّ امرأة من قريش تزوجها رجل من ثقيف في عدّتها فأرسل إليهما ففرق بينهما وعاقبهما وقال: لا ينكحها أبداً وجعل الصداق في بيت المال وفشا ذلك بين الناس فبلغ علياً كرم الله وجهه فقال: ما بال الصداق وبيت المال؟ إنّهما جهلا فينبغي للإمام أن يردهما إلى السنة قيل: فما تقول أنت فيها؟ قال لها الصداق بما استحل من فرجها، ويفرق بينهما، ولا جلد عليهما، وتكمل عدّتها من الأول ثم تكمل العدّة من الآخر، ثم يكون خاطباً. فبلغ ذلك عمر فقال: يا أيّها الناس ردوا الجهالات إلى السنة.

رد على سؤال

لعل الصورة التي رسمها الإمام عليه السلام في الخطبة عن مشاكل المسلمين والفوضى التي سادتهم على عهد عمر بن الخطاب تتنافى والذهنية السائدة لدى البعض في أن عهده كان مشرقاً حافلاً بالانتصارات والمكتسبات؛ الأمر الذي يثير السؤال الآتي: كيف يمكن التوفيق بين تلك الصورة والوقائع التي عكسها التاريخ الإسلامي؟

و الالتفات إلى هذه القضية من شأنه أن يقدم الجواب الشافي لهذا السؤال، فما لا شك فيه أنّ عهد عمر بن الخطاب كان عصر الانتصارات والفتوحات على صعيد السياسة الخارجية للبلاد; لانّ المسلمين وعلى ضوء التعاليم الإسلامية والآيات القرآنية التي تدعو إلى الجهاد قد مارسوا هذه الفريضة بشكل واسع بحيث لم تمض مدّة حتى حققوا الفتوحات الإسلامية الباهرة خارج البلاد الإسلامية فتم لهم نيل ما لا يحصى من الغنائم المادية، الأمر الذي جعل هذه الفتوحات تغطي على ضعف الجبهة الداخلية والفوضى التي كانت سائدة آنذاك، وهو المعنى الذي نلمسه اليوم بوضوح في السياسة المتبعة في العصر الراهن، فقد يؤدي الانتصار الذي تحرزه الدولة على صعيد السياسة الخارجية إلى التغطية على كل شيء ولا سيما المشاكل والمعضلات التي تعيشها على مستوى الداخل، ومن هنا نرى ساسة استكبار الذين يحاولون التغطية على مشاكلهم الداخلية بإخماد فورتها من خلال اللجوء إلى عدّة أنشطة خارجية بما فيها شن الحروب.

وزبدة الكلام أن الإمام عليه السلام إنّما تحدث عن مدى العنف والاضطهاد والأخطاء الفادحة وسعة حجم المشاكل الداخلية إبان عهد عمر بن الخطاب; الأمر الذي تم التعامل معه بمعزل عن مسألة الفتوحات.

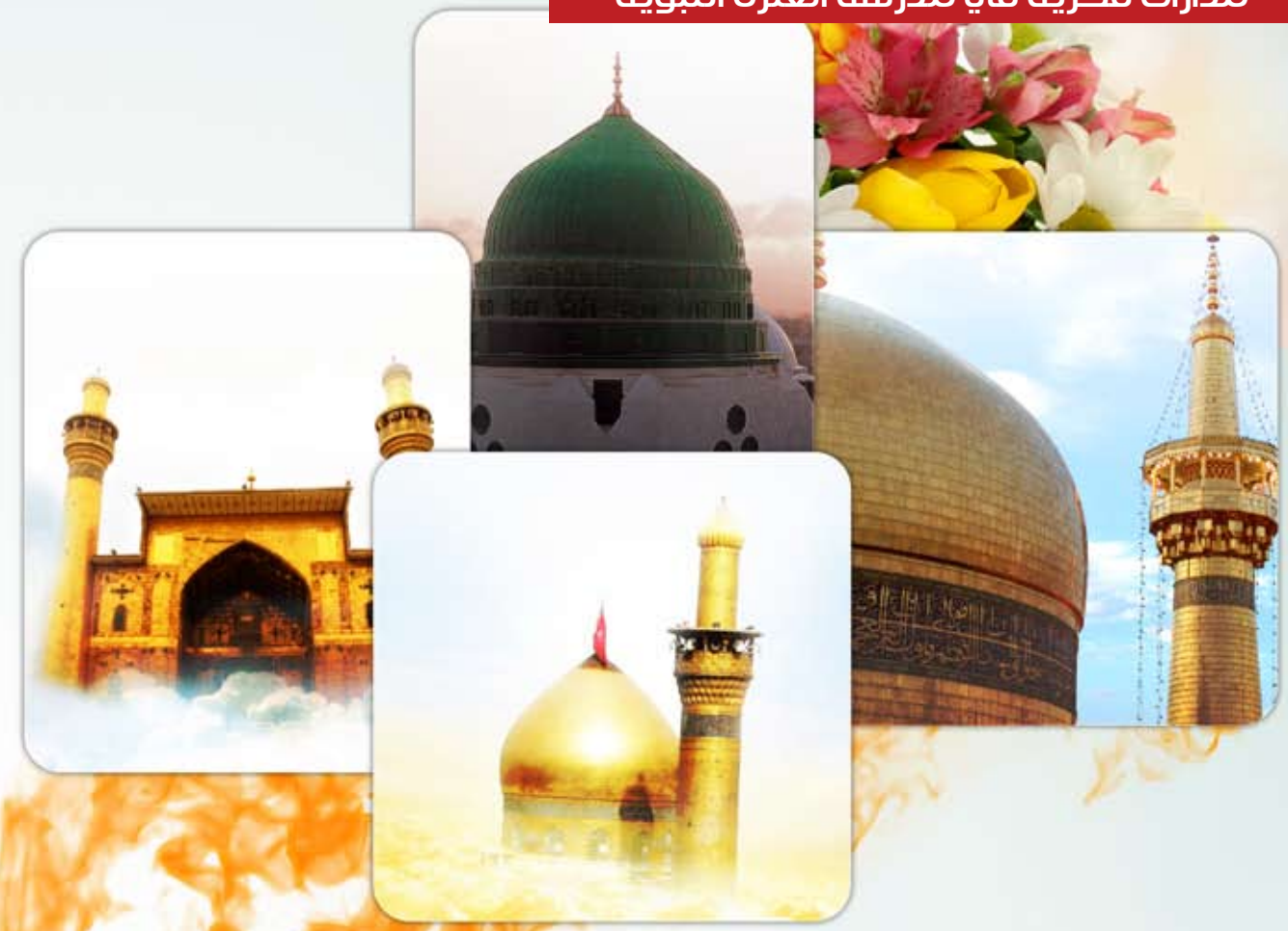

ما يعاين المؤمن والكافر عند الموت وحضور الأئمة عليهم السلام عندهم

حضور النبي والأئمة عليهم السلام عند المحتضر مؤمنا كان أو كافرا

روي في تفسير الإمام عليه السلام: (إن المؤمن الموالي لمحمد وآله الطيبين... إذا حضره من أمر الله تعالى ما لا يرد ونزل به من قضائه ما لا يصد وحضره ملك الموت وأعوانه وجد عند رأسه محمدا رسول الله ومن جانب آخر عليا سيد الوصيين وعند رجليه من جانب الحسن سبط سيد النبيين ومن جانب آخر الحسين سيد الشهداء أجمعين... .

فينظر العليل المؤمن إليهم فيخاطبهم بحيث يحجب الله صوته عن آذان حاضريه كما يحجب رؤيتنا أهل البيت ورؤية خواصنا عن أعينهم ليكون إيمانهم بذلك أعظم ثوابا لشدة المحنة عليهم فيقول المؤمن بأبي أنت وأمي يا رسول الله رب العزة بأبي أنت وأمي يا وصي رسول رب الرحمة بأبي أنتما وأمي يا شبلي محمد وضرغاميه يا ولديه وسبطيه يا سيدي شباب أهل الجنة المقربين من الرحمة والرضوان مرحبا بكم معاشر خيار أصحاب محمد وعلي وولديهما ما كان أعظم شوقي إليكم وما أشد سروري الآن بلقائكم يا رسول الله هذا ملك الموت قد حضرني ولا أشك في جلالتي في صدره لمكانك ومكان أخيك فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذلك هو.

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ملك الموت فيقول يا ملك الموت استوص بوصية الله في الإحسان إلى مولانا وخادمنا ومحبنا ومؤثرنا فيقول له ملك الموت يا رسول الله مره أن ينظر إلى ما أعد الله له في الجنان فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لينظر إلى العلو فينظر إلى ما لا يحيط به الألباب ولا يأتي عليه العدد والحساب فيقول ملك الموت كيف لا أرفق بمن ذلك ثوابه وهذا محمد وأعزته زواره.

يا رسول الله لولا أن الله جعل الموت عقبة لا يصل إلى تلك الجنان إلا من قطعها لما تناولت روحه ولكن لخادمك ومحبك هذا أسوة بك وبسائر أنبياء الله ورسله وأوليائه الذين أذيقوا الموت لحكم الله تعالى ثم يقول محمد يا ملك الموت هاك أخانا قد سلمناه إليك فاستوص به خيرا ثم يرتفع هو ومن معه إلى روض الجنان وقد كشف من الغطاء والحجاب لعين ذلك المؤمن العليل فيراهم المؤمن هناك بعد ما كانوا حول فراشه فيقول يا ملك الموت الوحا الوحا تناول روحي ولا تلبثني هاهنا فلا صبر لي عن محمد وأعزته وألحقني بهم فعند ذلك يتناول ملك الموت روحه فيسلها كما يسل الشعرة من الدقيق. وإن كنتم ترون أنه في

شدة فليس هو في شدة بل هو في رخاء.

ولذة فإذا أدخل قبره وجد جماعتنا هناك وإذا جاءه منكر ونكير قال أحدهما للآخر هذا محمد وعلي والحسن والحسين وخيار صحابتهم بحضرة صاحبنا فلنتضع لهما فيأتيان فيسلمان على محمد سلاما مفردا ثم يسلمان على علي سلاما مفردا ثم يسلمان على الحسنين سلاما يجمعانهما فيه ثم يسلمان على سائر من معنا من أصحابنا ثم يقولون قد علمنا يا رسول الله زيارتك في خاصتك لخادمك ومولاك ولولا أن الله يريد إظهار فضله لمن بهذه الحضرة من الملائكة ومن يسمعنا من ملائكته بعدهم لما سألناه ولكن أمر الله لا بد من امتثاله.

ثم يسألانه فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك ومن إمامك وما قبلتك ومن شيعتك ومن إخوانك فيقول الله ربي ومحمد نبيي وعلي وصي محمد إمامي والكعبة قبلتي والمؤمنون الموالون لمحمد وعلي وآلهما وأوليائهما المعادون لأعدائهما إخواني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأن أخاه عليا ولي الله وأن من نصبهم للإمامة من أطايب عترته وخيار ذريته خلفاء الأمة وولاة الحق والقوامون بالصدق.

فيقولان على هذا حييت وعلى هذا مت وعلى هذا تبعث إن شاء الله تعالى وتكون مع من تتولاه في دار كرامة الله ومستقر رحمته.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان لأوليائنا معاديا ولأعدائنا مواليا ولأضدادنا بألقابنا ملقبا فإذا جاءه ملك الموت لنزع روحه مثل الله عز وجل لذلك الفاجر سادته الذين اتخذهم أربابا من دون الله عليهم من أنواع العذاب ما يكاد نظره إليهم يهلكه ولا يزال يصل إليه من حر عذابهم ما لا طاقة له به فيقول له ملك الموت يا أيها الفاجر الكافر تركت أولياء الله إلى أعدائه فاليوم لا يغنون عنك شيئا ولا تجد إلى مناص سبيلا فيرد عليه من العذاب ما لوقسم أدناه على أهل الدنيا لأهلكهم ثم إذا دلي في قبره رأى بابا من الجنة مفتوحا إلى قبره يرى منه خيراتها فيقول له منكر ونكير انظر إلى ما حرمت من تلك الخيرات ثم يفتح له في قبره باب من النار يدخل عليه منه من عذابها فيقول رب لا تقم الساعة يا رب لا تقم الساعة)

وروى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره عن أبيه إبراهيم بن هاشم عن ابن أبي عمير عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (ما يموت موال لنا مبغض لأعدائنا إلا ويحضره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والحسن والحسين صلوات الله عليهم فيرونه ويبشرونه وإن كان غير موال لنا يراهم بحيث يسوؤه).

تدمع عين المؤمن عند الموت لسروره برؤية محمد وآله عليهم السلام

روى الشيخ الصدوق في علل الشرائع عن أبيه عن سعد عن إبراهيم بن مهزيار عن أخيه علي عن فضالة عن معاوية بن وهب عن يحيى بن سابور قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في الميت تدمع عينه عند الموت فقال ذلك عند معاينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرى ما يسره قال ثم قال أ ما ترى الرجل إذا يرى ما يسره فتدمع عينه ويضحك).

عرض الأعمال على النبي وباقي الأئمة عليهم السلام

روى صاحب كتاب بصائر الدرجات عن: (أحمد بن الحسين عن أبيه عن عبد الكريم ابن يحيى الخثعمي عن بريد بن معاوية العجلي قال قلت لأبي جعفر عليه السلام ((اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)) فقال: ما من مؤمن يموت ولا كافر فيوضع في قبره حتى يعرض عمله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى علي عليه السلام فهلم جرا إلى آخر من فرض الله طاعته على العباد).

من الشيعة من يراهم وهم له كارهون

روى صاحب كتاب المحاسن عن: (أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لسدير والذي بعث محمدا بالنبوة وعجل روحه إلى الجنة ما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى سرورا أوتبين له الندامة والحسرة إلا أن يعاين ما قال الله عز وجل في كتابه عَنِ الْيَمِينِ وعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ وأتاه ملك الموت بقبض روحه فينادي روحه فتخرج من جسده فأما المؤمن فما يحس بخروجها وذلك قول الله سبحانه وتعالى يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبادِي وادْخُلِي جَنَّتِي ثم قال ذلك لمن كان ورعا مواسيا لإخوانه وصولا لهم وإن كان غير ورع ولا وصول لإخوانه قيل له ما منعك من الورع والمواساة لإخوانك أنت ممن انتحل المحبة بلسانه ولم يصدق ذلك بفعل وإذا لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام لقاهما معرضين مقطبين في وجهه غير شافعين له...).

حضور الشيطان عند المحتضر لغوايته وسلب الإيمان منه

عن صفوان بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((إن الشيطان ليأتي الرجل من أوليائنا عند موته يأتيه عن يمينه وعن يساره ليصده عما هو عليه فيأبى الله له ذلك وكذلك قال الله يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الْآخِرَةِ)).

وعن علي بن محمد بن بندار عن أحمد ابن أبي عبد الله عن محمد بن علي عن عبد الرحمن بن أبي هاشم عن أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (ما من أحد يحضره الموت إلا وكل به إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر ويشككه في دينه حتى تخرج نفسه فمن كان مؤمنا لم يقدر عليه فإذا حضرتم موتاكم فلقنوهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يموت).

خاتمة مهمة

اعلم أن حضور النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة صلوات الله عليهم عند الموت مما قد ورد به الأخبار المستفيضة وقد اشتهر بين الشيعة غاية الاشتهار، وإنكار مثل ذلك لمحض استبعاد الأوهام ليس من طريقة الأخيار، وأما نحو حضورهم وكيفيته فلا يلزم الفحص عنه، بل يكفي فيه وفي أمثاله الإيمان به مجملا على ما صدر عنهم عليه السلام.

الخوف من الله أفضل الفضائل

الخوف منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين، وهو أفضل الفضائل النفسانية، إذ فضيلة الشيء بقدر إعانته على السعادة، ولا سعادة كسعادة لقاء الله والقرب منه، ولا وصول إليها إلا بتحصيل محبته والأنس به، ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة، ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر، ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر، ولا تتيسر المواظبة على الفكر والذكر إلا بانقطاع حب الدنيا من القلب، ولا ينقلع ذلك إلا بقمع لذاتها وشهواتها، وأقوى ما تتقمع به الشهوة هو نار الخوف، فالخوف هو النار المحرقة للشهوات، فإذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات ويكف من المعاصي ويحثّ على الطاعات، ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف.

وقيل: من أنس بالله، وملك الحق قلبه، وبلغ مقام الرضا، وصار مشاهداً لجمال الحق: لم يبق له الخوف، بل يتبدل خوفه بالأمن، كما يدل عليه قوله سبحانه:

((...أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)).

إذ لا يبقى له التفات إلى المستقبل، ولا كراهية عن مكروه، ولا رغبة إلى محبوب، فلا يبقى له خوف ولا رجاء، بل صار حاله أعلى منها.

نعم، لا يخلو عن الخشية - أي الرهبة من الله ومن عظمته وهيبته - وإذا صار متجليا بنظر الوحدة لم يبق فيه أثر من الخشية أيضا، لأنه من لوازم التكثر وقد زال.

ولذا قيل: (الخوف حجاب بين الله وبين العبد).

وقيل أيضا: (إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها محل لخوف ولا رجاء).

وقيل أيضا: (المحب إذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصا في دوام الشهود الذي هو غاية المقامات).

وأنت خبير بأن هذه الأقوال مما لا التفات لنا إليها، فلنرجع إلى ما كنا بصدده من بيان فضيلة الخوف، فنقول: الآيات والأخبار الدالة عليه أكثر من أن تحصى، وقد جمع الله للخائفين العلم والهدى والرحمة والرضوان، وهي مجامع مقامات أهل الجنان، فقال:

((...إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ...)).

وقال سبحانه وتعالى:

((...هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ)).

وقال عزّ وجل:

((...ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ)).

وكثير من الآيات مصرحة بكون الخوف من لوازم الإيمان، كقوله تعالى:

((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...)).

وقوله تعالى:

((...وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)).

ومدح الخائفين بالتذكر في قوله:

((سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ)).

ووعدهم الجنة وجنتين، بقوله:

((وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ)).

وقوله تعالى:

((وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)).

وفي الخبر القدسي قال سبحانه وتعالى:

«وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين، فإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «رأس الحكمة مخافة الله».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء».

وقال - صلى الله عليه وآله وسلم - لابن مسعود:

«إن أردت أن تلقاني فأكثر من الخوف بعدي».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا».

وعن ليث بن أبي سليم قال: (سمعت رجلا من الأنصار يقول: بينما رسول الله مستظل بظل شجرة في يوم شديد الحر، إذ جاء رجل فنزع ثيابه، ثم جعل يتمرغ

في الرمضاء، يكوي ظهره مرة، وبطنه مرة، وجبهته مرة، ويقول: يا نفس ذوقي، فما عند الله أعظم ممّا صنعت بك، ورسول الله ينظر إليه ما يصنع، ثم إن الرجل لبس ثيابه، ثم أقبل، فأومى إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده ودعاه، فقال له:

«يا عبد الله! رأيتك صنعت شيئا ما رأيت أحدا من الناس صنعه، فما حملك على ما صنعت؟».

فقال الرجل: حملني على ذلك مخافة الله، فقلت لنفسي: يا نفس ذوقي فما عند الله أعظم مما صنعت بك، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لقد خفت ربك حق مخافته، وإن ربك ليباهي بك أهل السماء».

ثم قال لأصحابه: «يا معشر من حضر! ادنوا من صاحبكم حتى يدعو لكم».

فدنوا منه، فدعا لهم، وقال: «اللهم أجمع أمرنا على الهدى، واجعل التقوى زادنا، والجنة مآبنا».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما من مؤمن يخرج من عينيه دمعة، وإن كانت مثل رأس الذباب، من خشية الله، ثم يصيب شيئا من حر وجهه، إلا حرمه الله على النار».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجر ورقها».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضا: «لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع».

وقال سيد الساجدين عليه السلام في بعض أدعيته: «سبحانك! عجبا لمن عرفك كيف لا يخافك».

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«صلى أمير المؤمنين عليه السلام بالناس الصبح بالعراق، فلما انصرف وعظهم، فبكى وأبكاهم من خوف الله، ثم قال: أما والله لقد عهدت أقواما على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وإنهم ليصبحون ويمسون شعثا غبرا حمصا بين أعينهم كركب البعير يبيتون لربهم سجدا وقياما، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، يناجون ربهم في فكاك رقابهم من النار، والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون مشفقون».

وقال عليه السلام:

«وكأن زفير النار في آذانهم، إذا ذكر الله عندهم مادوا كما تميد الشجر كأنما القوم باتوا غافلين».

ثم قال عليه السلام: «فما رئي عليه السلام بعد ذلك ضاحكا حتى قبض».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من عرف الله خاف الله، ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا».

وقال عليه السلام: «إن من العبادة شدة الخوف من الله تعالى يقول:

((..إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟...)).

وقال:

((..فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ..)).

وقال عزّ وجل:

((..وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا)).

وقال عليه السلام: «إن حب الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب».

وقال عليه السلام:

«المؤمن بين مخافتين: ذنب قد مضى ما يدري ما صنع الله فيه، وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فهو لا يصبح إلا خائفا ولا يصلحه إلا الخوف».

وقال عليه السلام:

«خف الله كأنك تراه وإن كنت لا تراه فإنه يراك، وإن كنت ترى أنه لا يراك، فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين إليك».

وقال عليه السلام:

«لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا، ولا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف ويرجو».

وقال عليه السلام:

«مما حفظ من خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: أيها الناس! إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، ألا إن المؤمن يعمل بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، وفي الحياة قبل الممات فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب وما بعدها من دار إلا الجنة أو النار».

ثم الأخبار الواردة في فضل العلم والتقوى والورع والبكاء والرجاء تدل على فضل الخوف، لأن جملة ذلك متعلقة به تعلق السبب أو تعلق المسبب، إذ العلم سبب الخوف، والتقوى والورع يحصلان منه ويترتبان عليه ــ كما ظهر مما سبق ــ والبكاء ثمرته ولازمه، والرجاء يلازمه ويصاحبه، إذ كل من رجا محبوبا فلا بد أن يخاف فوته، إذ لو لم يخف فوته لم يحبه فلا ينفك أحدهما عن الآخر، وإن جاز غلبة أحدهما على الآخر، إذ من شرطهما تعلقها بالمشكوك، لأن المعلوم لا يرجى ولا يخاف فالمحبوب المشكوك فيه تقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء، وتقدير عدمه يؤلمه وهو الخوف، والتقديران يتقابلان.

نعم، أحد طرفي الشك قد يترجح بحضور بعض الأسباب، ويسمى ذلك ظنا، ومقابله وهما، فإذا ظن وجود المحبوب قوي الرجاء وضعف الخوف بالإضافة إليه، وكذا بالعكس، وعلى كل حال فهما متلازمان، ولذلك قال الله سبحانه:

((..وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا...)).

وقال عزّ وجل:

((..يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ...)).

وقد ظهر أن ما يدل على فضل الخمسة يدل على فضيلته، وكذا ما ورد في ذم الأمن من مكر الله يدل على فضيلته، لأنه ضده، وذم الشيء مدح لضده الذي ينفيه، ومما يدل على فضيلته ما ثبت بالتواتر من كثرة خوف الملائكة والأنبياء وأئمة الهدى عليهم السلام كخوف جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، وحملة العرش، وغيرهم من الملائكة المهيمين والمسلمين.

وكخوف نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وداود ويحيى وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) المصدر: جامع السعادات، ج١، ص١٥٥ ـ ١٥٩.

العدل الإلهي

مما لا شكّ فيه أنّ الإنسان عموماً يؤمن بما تهواه نفسه وتميل إليه حسب فطرته من الأصول والعقائد التي يعتنقها ويلتزم بها.

ومما لا شكّ فيه أن المسلم خصوصاً الذي يؤمن بالإسلام ديناً بحسب فطرته يؤمن بأصول عقائد الدين الإسلامي.

ولكنه بالرغم من تمسكه وإيمانه بأصول الدين إلاّ أنه قد تواجهه الكثير من المشاكل إذا ما جوبه ببعض الشكوك والشبهات التي قد تؤدي إلى زعزعة إيمانه وتمسكه بهذه العقائد، لعدم فهمه واستيعابه لها فهماً عميقاً وبالاستدلال والإثبات المنطقي.

ما هو العدل

لماذا عُدّ العدل، من بين سائر صفات الله، أصلاً من أصول الدّين؟

الفرق بين (العدالة) و(المساواة).

١ ــ لماذا اختير العدل من بين سائر الصفات؟

قبل الخوض في هذا البحث لابدّ من أنْ يتضح لنا: لماذا عُدّ العلماء العظام صفة العدالة التي هي واحدة من صفات الله أصلاً من «أصول الدين الخمسة؟

إنَّ الله (عالم) و(قادر) و(عادل) و(حكيم) و(رحمن) و(رحيم) و(أزلي) و(أبدي) و(خالق) و(رزاق)، فلماذا اختاروا (العدالة) دون سائر صفات الله لتكون أحد أصول الدين الخمسة؟

للإجابة عن هذا السّؤال لابدّ من معرفة عدّة نقاط:

أولاً: إنَّ للعدالة، من بين سائر صفات الله، أهمية خاصة بحيث أنَّ كثيراً من الصفات الأخرى مترتبة عليها، لأنَّ (العدالة) بمعناها الواسع، هي وضع الأمور في مواضعها. وعلى ذلك فان صفات أخرى مثل (الحكيم) و(الرّزاق) و(الرّحمن) وأمثالها تعتمد على العدالة في معانيها.

ثانياً: كما أنَّ (المعاد) يستند إلى (العدل الإلهي)، وكذلك ترتبط رسالة الأنبياء عليهم السلام و مسؤولية الأئمة عليهم السلام بعدالة الله أيضاً.

ثالثاً: ظهر في صدر الإسلام خلاف بشأن مسألة عدالة الله، فقد أنكر بعض المسلمين وهم الأشاعرة عدالة الله كلياً، وقالوا: إنَّ (العدالة) و(الظلم) لا معنى لهما بالنسبة لله، فجميع ما في عالم الوجود من ملكه، وكل ما يفعله فهو العدالة بعينها. لقد أنكر هؤلاء حتى (الحسن) و(القبح) العقليين، قائلين أن عقولنا لا تستطيع أنْ تدرك هاتين الصفتين مطلقتين، بل إنَّها لا تدرك حُسْنَ الحَسَن ولا قبح القبيح (وغير ذلك من الأخطاء).

وفريق آخر من أهل السنة وهم المعتزلة ومعهم الشيعة، قالوا بعدالة الله وبأنَّه لا يظلم أبداً.

وللتمييز بين هذين الفريقين، أطلقوا على الفريق الثّاني اسم (العدليين) أو (العدلية) لأنهم عدّوا (العدل) عنوان مدرستهم، وأطلقوا على الفريق الآخر اسم (غير العدليين). ولكي يميز الشيعة أنفسهم عن بقية (العدليين) عدّوا الإمامة أصلاً آخر من أصول الدين.

وعليه:

أصبح (العدل) و(الإمامة) من مميزات مذهب الشيعة الإمامية.

رابعاً: بما أن فروع الدين ليست سوى إشعاعات أصول الدين، وأنَّ أشعة عدالة الله شديدة التأثير في المجتمع البشري، أصبحت العدالة الاجتماعية من أهم أسس المجتمع الإنساني، إنَّ اختيار العدالة كأصل من أصول الدين إشارة إلى إحياء العدل في المجتمعات البشرية ومكافحة كل أنواع الظلم.

ومثلما كان توحيد ذات الله وصفاته وعبادته نوراً دعا للوحدة والاتحاد في المجتمع الإنساني لتمتين وحدة الصفوف، كانت قيادة الأنبياء و الأئمّة عليهم السلام مثالاً (للقيادة الحقّة) في المجتمعات الإنسانية.

وعليه:

فـإنَّ أصـل عدالة الله السائدة في كل عالم الوجود، إشارة إلى ضرورة تطبيـق العدالـة في المجتمـع البشري على جميع الأصعدة.

إنَّ عـالم الخليقـة العظيـم قائـم علـى العدالـة، لذلـك لا يمكـن أنَّ يقـوم مجتمـع إنساني بغير العدالة.

ما هي العدالة؟

للعدالة معان مختلفة:

أولاً: معنى العدالة العام والشامل هو كما قلنـا: وضع الأمور في مواضعها، أي التوازن والتعادل، وهذا المعنى هو المهيمن على عالم الخليقة برمته، على المنظومات الشمسـية، علـى الذّرة، على بناء كيان الإنسـان وجميع الحيوان والنبات، وهذا هو المعنى الذي ورد في الحديث النّبوي الشريف:

«بِالعدلِ قامَتِ السَّمواتُ وَالأرضُ».

فمثـلاً؛ لو اختل تعـادل القوتين الجاذبة والدافعة في الكرة الأرضية، وزادت إحداها على الأخرى، لانجذبت الأرض نحو الشمس واحترقت وتلاشت، أو لخرجت عن مدارها وتلاشت في الفضاء الفسيح.

والعدالـة هي أنَّك إنْ سـقيت نبتة الورد والأشـجار المثمـرة فقـد سـكبت المـاء في موضعـه، وهذا هـو العدل بعينـه، وإنْ أنت سـقيت الأشـواك والطفيليـات، فقد أرقت الماء، في غير موضعه، وهذا الظلم بعينه.

ـ وثمّة معنـى آخر للعدل وهـو (مراعاة حقـوق النـاس) ويقابلـه (الظلـم) وهـو الاسـتئثار بحقـوق الآخريـن، أو انتزاع حق شـخص وإعطـاؤه لآخر لا حق لـه فيه، أي المحابـاة، وهـي إعطاء بعـض حقّهم، ومنعه عن آخرين.

بديهي أنَّ المعنى الثّاني (خاص) والمعنى الأول (عـام)، وأنَّ كلا معنيـي (العـدل) يصدقان بحق الله، غير أنَّ المعنى الثاني هو المقصود في بحثنا هذا غالباً.

معنى (عدل) الله هو أنه لا يسلب أحداً حقّـه، ولا يأخـذه من بعـض ليعطيه لبعض آخر، فلا يحابي بين الأشـخاص، فهو عادل بكل معاني الكلمة.

إنَّ اللّه منـزّه عـن (الظلـم) سـواء تمثل بأخـذ حق أحد، أم إعطـاء حق أحد لآخر، أم بالإجحاف والمحاباة.

إنَّه لـن يعاقب من يعمل الصالحات، ولا يثيـب المسـيء، ولا يأخذ أحـداً بذنب أحد، ولا يحرق الأخضر بجرم اليابس أبداً.

وإذا كان جميع أفراد مجتمع ما مذنبين، سوى شخص واحد، فإنَّ الله تعالى يستثنيه عـن الآخريـن، ولا يحشـره في مصـاف المذنبين.

أمّا مقولة (الأشاعرة) بأنَّ الله إذا أرسل الأنبيـاء إلى الجحيـم، والمذنبين إلى الجنّة لا يكـون ظالماً، فهي مقولـة جزاف، قبيحة، مخجلـة ولا أسـاس لها، وإنَّ كل شـخص لم يغلف عقله التعصب والخرافات يشهد بقبح هذا القول.

الفرق بين (المساواة) و(العدالة)

النقطـة المهمـة الأخـرى التي لابـدّ من الإشـارة إليها في هـذا البحث هي ما يجري أحياناً من الخلط بين (المساواة) و(العدالة) على اعتبار أنَّ العدالة هي تطبيق المسـاواة، وليس كذلك.

المسـاواة ليسـت شـرطاً مـن شـروط العدالـة، بـل العدالـة هـي إعطـاء كل حـق لمسـتحقه وأخـذ الأولويات بنظـر الاعتبار، فالعدالـة بـين تلاميذ صـف واحـد، مثلاً، ليسـت في منـح جميعهم درجات متسـاوية، وليسـت العدالـة بـين العمـال في إعطائهم أجوراً متساوية.

بل العدالة هي أنْ ينال كلّ تلميذ الدّرجة الـتي تسـتحقها معلوماته ولياقتـه العلمية، وأن ينـال كل عامـل أجرتـه بحسـب أهمية العمل الذي يؤديه.

والعدالـة في عـالم الطبيعة تدخل ضمن هـذا المعنـى الواسـع، فلـو أنَّ قلـب حـوت (البالـن) الـذي يـزن طناً واحداً قد سـاوى قلـب عصفـور لا يـكاد يزن أكثـر من بضعة غرامـات، مـا كان ذلـك عدلاً، ولو تسـاوت جذور شـجرة ضخمة مع جذور نبتة صغيرة لما كان ذلك عدلاً، بل لكان ظلماً فاضحاً.

فالعدالة إذن: هي أن ينال كل كائن نصيبه بموجب استحقاقه واستعداده ولياقته.

المصدر: سلسـلة أصـول الديـن للشـيخ ناصر مكارم الشيرازي: ص١١٣ ـ ١١٨.

آية الله الشيخ محمد القمي المعروف بالأرباب (قدس سره)

ولادته

ولد آية الله الشيخ محمد القمي المعروف بالأرباب في مدينة قم المقدسة عام ١٢٧٦هـ، وقضى طفولته فيها.

دراسته وأساتذته

أكمل دراسته الابتدائية في مدينة قم المقدسة.

درس مرحلة السطوح عند علماء حوزتها البارزين.

هاجر إلى العراق لإكمال دراسة البحث الخارج، وأخذ يحضر بحوث الشيخ الشيرازي الكبير في مدينة سامراء المقدسة.

ذهب إلى النجف الأشرف لحضور دروس آية الله حبيب الله الرشتي، والآخوند الخراساني، والشيخ حسين النوري.

طوى مراحل الدراسة وأصبح فقيهاً، فنال درجة الاجتهاد، وأيد اجتهاده كثير من علماء الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

عاد إلى مدينة قم المقدسة واتجه نحو التدريس والتحقيق والتأليف، وأداء وظائفه الدينية الاخرى.

تدريسه وطلابه

منذ وصوله إلى قم المقدسة قام بتشكيل حوزة دراسية فيها، اصبحت فيما بعد موضع احترام واهتمام العلماء آنذاك، ولم تقتصر جهوده على حوزته الشخصية فقط؛ بل تظافرت جهوده مع جهود آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري (مؤسس الحوزة العلمية في قم) بوضع الأُسس التي قامت عليها الحوزة الفتية آنذاك، ويمكن القول بحق ان الشيخ محمدا الارباب كان له دور كبير في إقامة هذه المؤسسة العلمية.

وقد نهل من معين دروسه كثير من الطلبة الذين أصبح لهم مستقبلٌ زاهرٌ في عالم التشيع، نذكر مجموعة منهم:

١ ـ آية الله الشيخ محمد فيض القمي.

٢ ـ آية الله الشيخ عباس القمي.

٣ ـ آية الله الشيخ محمد الكبير القمي.

٤ ـ آية الله حسن النويسي.

٥ ـ الشيخ علي محمد باغ البنبئي القمي.

٦ ـ الشيخ أبو الحسن الفقيهي.

٧ ـ الشيخ أحمد الفقيهي.

٨ ـ الشيخ محمد صادق الفقيهي.

٩ ـ السيد محمد صادق الطاهري.

١٠ ـ ولداه الشيخ محمد تقي الإشراقي، والشيخ محمد باقر المعروف بـ(الرباني).

صفاته وأخلاقه

كان الشيخ محمد الأرباب يحب جميع الناس ويعطف عليهم ويُحسن إليهم، حتى من يختلف معه ويتفقد فقراءهم ومحتاجيهم لاسيما السادة الهاشميين منهم، وكان تقياً متواضعاً حسن المعشر، يرحب بضيوفه جميعاً ويحترمهم، وكان مخلصاً لله عزوجل وكشاهد على إخلاصه، عندما شكل حوزته وأخذ يلقي دروسه فيها، كان آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري يلقي دروسه في الوقت نفسه، وفي يوم من الأيام قال الشيخ القمي لطلابه:

تحدثنا في الدروس الماضية عن موضوع (الأهم والمهم) بشكل مفصل واليوم أريد أن أقول لكم بأن حضوركم في دروس آية الله

الحائري أهم من حضوركم دروسي، فاذهبوا يا أعزائي واحضروا دروسه، فنهض جميع الطلاب إلا اثنين منهم، وهما (الشيخ محمد تقي والشيخ محمد باقر) ابنا آية الله الأرباب فقد كانا راغبين بحضور دروس أبيهما، فكرر عليهما الشيخ إذهبا إلى دروس آية الله الحائري.

وكان الشيخ متشدداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مواظباً على المستحبات من النوافل اليومية والأدعية والزيارات، وقراءة القرآن الكريم، واقامة صلاة الليل حتى في السفر.

وكان شديد التعلق بأهل البيت عليهم السلام، ولا سيما سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، فقد كان الشيخ يرتقي المنبر الحسيني في العشرة الأولى من محرم الحرام ليتناول فيها واقعة كربلاء، وما جرى فيها من المصائب على الحسين عليه السلام وأهل بيته.

وأخيراً فإن الشيخ كان يمتلك ذوقاً شعرياً جيداً، فقد كتب أشعاراً باللغتين العربية والفارسية، أكثرها في الحكمة والموعظة.

موقفه من الاحتلال الروسي للبلاد الإسلامية

احتل الروس جزءاً من ايران خلال الحرب العالمية الأولى، ولكفهم عن بلوغ مدينة قم المقدسة; أعدّ الشيخ محمد الأرباب خطة حكيمة، فذهب لمقابلة الحاكم العسكري للقوات الروسية (بارتوف)، وقال له: لماذا تريدون الإخلال بحب الناس لكم؟ إن أبناء شعبنا عندما يريدون شراء حاجة أو سلعة من الاسواق، فانهم يُقبلون على شراء البضائع الروسية ويقولون: انها بضائع جيدة و...الخ، فأُعجب القائد العسكري بكلام الشيخ وقال: أنا لحد الآن لم أسمع بمثل هذا الكلام المنطقي اللطيف ورحب بالشيخ كثيرا وقال له: نحن في خدمتكم، اصدروا لنا الأوامر ونحن على أتم الاستعداد على تطبيقها.

فقال له الشيخ: إن مدينتنا (قم) مدينة دينية ومقدسة ودخول قواتكم العسكرية إليها بالتجهيزات والأدوات الموسيقية لا ينسجم مع الطابع الديني الذي يغطي المدينة، فإني أطلب منكم عدم إرسال قواتكم الى داخلها، وفي حالة احتياجكم إلى سلع أو بضائع من أسواقها سأقوم بتوصية الدلالين لايصالها إليكم خارج المدينة، فقبل الحاكم العسكري هذا الطلب واستطاع الشيخ ان يدفع شرهم وفسادهم عن المدينة.

مؤلفاته

١ــ كتاب الاربعين الحسينية: من كثرة مطالعة الشيخ وانهماكه بالتأليف والتدوين والتصحيح أُصيب بالعمى فنذر لله عزوجل ان هو شفاه من العمى يؤلف كتابا يحتوي على أربعين حديثاً في الإمام الحسين عليه السلام فشفاه الله.

٢ ـ شرح كتاب البيان للشهيد الأول: كتاب فقهي معروف لدى العلماء.

٣ ـ شرح القصيدة العينيّة للسيد إسماعيل الحميري والتي مطلعها (لأُم عمر...).

٤ ــ رسالة في الرد على الفرقة البابية الضالّة.

٥ ـ حواش على كتاب جواهر الكلام للشيخ محمد حسن النجفي.

٦ ــ ديوان شعر في رثاء الإمام الحسين عليه السلام وغيره.

٧ ــ مقابلة وتصحيح كتاب بحار الأنوار للمجلسي.

٨ ـ تصحيح كتاب الغيبة للنعماني.

٩ ـ تصحيح كتاب الوصية للمسعودي.

١٠ ــ تصحيح كتاب كنز العرفان للفاضل المقداد.

أقوال العلماء فيه

قال فيه آية الله المحدث الشيخ عباس القمي: شيخنا العالم الفاضل الفقيه المحدث الحكيم المتكلم، الشاعر المنشىء الأديب الاريب حسن المحاضرة، جيد التقرير والتحرير، جامع المعقول والمنقول أدام الله بقاه.... وكان كمحمد بن أحمد بن عبد الله البصري الملقب بـ (المفجع) المعروف بكثرة بكائه وتفجعه على أهل البيت عليهم السلام..

وقال فيه صاحب كتاب ريحانة الأدب: كان الشيخ محمد الأرباب من علماء الإمامية الكبار في القرن (الرابع عشر الهجري)، سافر منذ شبابه إلى العتبات المقدسة .... وأكمل مراحل الدراسة ونال درجة الإجتهاد، وكان موضع اهتمام واحترام العلماء في زمانه. قضى عمره الشريف في التدريس، وإقامة الحدود الشرعية، وترويج أحكام الدين الحنيف، وكان شديداً في أمر النهي عن المنكر.

وفاته

مرض الشيخ محمد الأرباب آواخر حياته بمرض لم يمهله طويلا، فلبى نداء ربه في سنة ١٣٤١ هـ، بعد أن قضى خمسة وستين عاماً من عمره الشريف، في إحياء شريعة الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وتُراث الأئمة المعصومين الطاهرين عليهم السلام.

وبعد إجراء مراسم التشييع تم دفنه في مقبرة (شيخان) القريبة من الصحن الشريف لمرقد السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام في مدينة قم المقدسة.

المصدر علماء الحوزة العلمية: ٤٨.

شجرة اللوز المزروعة

بيد الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه المباركة

عن ابن بابويه قال: حدثنا أبو واسع محمد بن أحمد (ابن محمد) بن إسحاق النيسابوري قال: سمعت جدتي خديجة بنت حمدان بن بسنده قالت: لما دخل الرضا - عليه السلام - نيسابور نزل محلة الغربي ناحية تعرف بـ(لاش آباد) (في دار جدي (بسنده)، وإنما سمي (بسنده) لأن الرضا - عليه السلام - ارتضاه من بين الناس.

(وبسنده) هي كلمة فارسية معناها (مرضي).

فلما نزل - عليه السلام - دارنا زرع لوزة في جانب من جوانب الدار، فنبتت وصارت شجرة وأثمرت في سنة، فعلم الناس بذلك، فكانوا يستشفون بلوز تلك الشجرة، فمن أصابته علة تبرك بالتناول من ذلك اللوز مستشفيا به فعوفي، ومن أصابه رمد جعل ذلك اللوز على عينه فعوفي، وكانت الحامل إذا عسر عليها ولادتها تناولت من ذلك اللوز فتخف عليها الولادة وتضع من ساعتها.

وكان إذا أخذ دابة من الدواب القولنج اخذ من قضبان تلك الشجرة، فأمر على بطنها فتعافى ويذهب [عنها] ريح القولنج ببركة الرضا - عليه السلام - فمضت الأيام على تلك الشجرة فيبست فجاء جدي حمدان وقطع أغصانها فعمي، وجاء ابن حمدان يقال له: (أبو عمرو) فقطع تلك الشجرة من وجه الأرض فذهب ماله كله بباب فارس، وكان مبلغه سبعين ألف درهم إلى ثمانين ألف درهم ولم يبق له شيء، وكان لأبي عمرو هذا ابنان كاتبان وكانا يكتبا لأبي الحسن محمد بن إبراهيم (ابن) مسجور يقال لأحدهما: (أبو القاسم) وللآخر: (أبو صادق)، فارادا عمارة تلك الدار وأنفقا عليها عشرين ألف درهم، وقلعا الباقي من أصل تلك الشجرة وهما لا يعلمان ما يتولد عليهما من ذلك.

فولى أحدهما ضياعا لأمير خراسان، فرد إلى نيسابور في محمل قد اسودت رجله اليمنى، فشرحت رجله فمات من تلك العلة بعد شهر.

وأما الآخر وهو الأكبر، فإنه كان في ديوان السلطان بنيسابور يكتب كتابا، وعلى رأسه قوم من الكتاب وقوف، فقال واحد منهم: دفع الله عين السوء عن كاتب هذا الخط، فارتعشت يده من ساعته وسقط القلم من يده، وخرجت بيده بثرة ورجع إلى منزله، فدخل إليه أبو العباس الكاتب مع جماعة فقالوا له:

هذا الذي أصابك من الحرارة، فيجب أن تفتصد، فافتصد ذلك اليوم، فعادوا إليه من الغد وقالوا (له): يجب أن تفتصد اليوم أيضا، ففعل فاسودت يده فشرحت ومات من ذلك، وكان موتهما جميعا في أقل من سنة.[1]

الماء الذي نبع ببركة الإمام الرضا عليه السلام والأثر الباقي

عن ابن بابويه قال: حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أحمد بن علي الأنصاري قال: حدثنا عبد السلام بن صالح الهروي قال: لما خرج علي بن موسى الرضا - عليه السلام - من نيسابور إلى المأمون، فبلغ قرب القرية (الحمراء)، قيل له: يا بن رسول الله قد زالت الشمس أفلا تصلي، فنزل - عليه السلام - فقال:

«ائتوني بماء».

فقيل: ما معنا ماء، فبحث - عليه السلام - بيده الأرض فنبع من الماء ما توضأ به هو (وأصحابه) ومن معه، وأثره باق إلى اليوم، فلما بلغ إلى (سناباد) استند إلى الجبل الذي تتحت منه القدور فقال:

«اللهم انفع به وبارك فيما يجعل (فيه و) فيما ينحت منه».

ثم أمر - عليه السلام - فنحت له قدور من الجبل، وقال:

«لا يطبخ ما آكله إلا فيها».

وكان - عليه السلام - خفيف الأكل قليل الطعم، فاهتدى الناس إليه من ذلك اليوم، وظهرت بركة دعائه - عليه السلام - فيه، ثم دخل دار حميد بن قحطبة الطائي ودخل القبة التي فيها قبر هارون الرشيد، ثم خط بيده إلى جانبه ثم قال - عليه السلام -:

«هذه تربتي وفيها أدفن وسيجعل الله هذا المكان مختلف شيعتي وأهل محبتي، والله ما يزورني منهم زائر ولا يسلم على منهم مسلم إلا وجب له غفران الله تعالى ورحمته بشفاعتنا أهل البيت».

ثم استقبل القبلة فصلى ركعات ودعا بدعوات، فلما فرغ سجد سجدة طال مكثه (فيها) فأحصيت له فيها خمسمائة تسبيحة، ثم انصرف.[2]

---

(١) مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني: ج٧، ص١٣٠.

(٢) المصدر السابق: ص١٣٢.

الحلقة السادسة عشرة

على مائدة الصحيفة السجّادية

قيل: (والحمد لله الذي لو حبس عن عباده معرفة حمده) أي: بأن لم يعطهم قدرة المعرفة، (على ما أبلاهم) أي: على ما امتحنهم، (من مننه المتتابعة) أي: المنن: جمع منّة، بمعنى النعمة، إذ كل نعمة توجب منة على الإنسان، (وأسبغ عليهم) أي: أعطاهم ووسّع عليهم (من نعمه المتظاهرة) أي: التي بعضها ظهر لبعض وفي أثرها وعقبها، (لتصرفوا) جواب لو (في مننه فلم يحمدوه) أي: إذ المفروض أنهم لا يعرفون الحمد، (وتوسعوا في رزقه) أي: توسعوا في نيل رزقه والتصرف فيه، (فلم يشكروه) أي: إذ الشكر فرع المعرفة والمفروض أنهم لا يعرفون حمده، (ولو كانوا كذلك) أي: يتناولون الرزق بدون أن يشكروا، (لخرجوا من حدود الإنسانية إلى حد البهيمية) أي: إذ البهيمية لا تشكر لعدم معرفتها، وكذلك يكون الإنسان حينئذ.

(فكانوا) أي: لعدم شكرهم، (كما وصف في محكم كتابه) أي: إضافة محكم إلى الكتاب من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي كتابه المحكم الذي لم يطرأ عليه باطل أو نسخ أو ما أشبه (إن هم إلاّ كالأنعام) أي: إن: نافية، أي ليس هؤلاء الذين لا يدينون إلاّ كالأنعام في عدم الفهم والإدراك (بل هم أضل سبيلا).

إذ الأنعام تعرف مصالحها ومفاسدها والإنسان المنحرف لا يعرف ذلك، ولا يخفى أن الحمد بالنتيجة على هداية الإنسان وعدم جعله كالأنعام.[1]

وقيل: من أهم الفوارق بين الإنسان والحيوان، أنّ الإنسان يشعر بالواجب نحو خالقه، ونفسه، وأسرته، ومجتمعه، وأنّه مُحاسب عليه، ومعاقب لو فرط بشيء منه، وإن نهض به، وأداه على وجهه عاد عليه بالخير دنيا وآخرة، وفي الحديث القدسي: «ما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه».

ومن جملة ما افترضه سبحانه على عباده الشكر له، ومن آياته:

((وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ)).

وقوله تعالى: ((لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)).

وأفضل أنواع الشكر ترك المحرمات، وفي طليعتها كفّ الأذى عن الناس، وأدناها أن يعرف الإنسان أنّ ما به من نعمة فمن فضل الله، وطوله، لا من حول المنعم عليه، وقوته، قال الإمام الصادق عليه السلام:

«شكر النعمة اجتناب المحارم... من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه، فقد أدى شكرها».

ولا يستخف بشكر النعمة، والمنعم إلا الذين يتصرفون تصرف البهائم، وإلى هؤلاء أشار الإمام عليه السلام بقوله: (ولو كانوا كذلك) أي لم يشكروا الله، ويحمدوه على رزقه وفضله، (لخرجوا من حدود الإنسانية إلى حد البهيمية) يتصرف الإنسان عن عقل، وعلم، وتجربة، وتفكير، وتصميم، والحيوان يتصرف بغريزة تقوده آلياً، وتلقائياً، إلى ما يضطر إليه في حياته، وبقائه، ولا يعرف بالتحديد أين يذهب؟ ولا ماذا يفعل، أو متى يعود إلى حظيرته؟ تماماً كالسيارة يقودها السائق مع الفرق أن سائق الحيوان من داخله، وسائق السيارة من خارجها، والدليل القاطع على ذلك أنّ الحيوان لم يتطور، ويتغير في حياته مدى آلاف القرون، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «العاقل يتعظ بالآداب، والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب».

وفي كتاب الطب الروحاني لأبي بكر الرازي: (الحيوان يروّث عند الحاجة في أي مكان، وزمان، أما الإنسان فيقهر طبعه لمعان عقلية».

وقيل: لأنّ الأنعام تؤدي ما عليها، وتنقاد لصاحبها أمراً، وزجراً، أما أهل الجهالة، والضلالة فلا يؤدون ما عليهم، ولا ينقادون لخالقهم، وفوق ذلك فإنّ الأنعام تنفع، ولا تضر، وهم وباء، وأدواء على المجتمع، والإنسانية.[2]

وقال شاعر أهل البيت الشيخ عبد المنعم الفرطوسي:

أحمد الله خالق مَنْ لَوْ
حبَس الخلقَ عن جميل الثَّناء
دون تعريفهم بأكرم حمدٍ
مستحقٍّ له بفضلِ العطاء
بعد فيضٍ لخير منٍّ عليهم
من يديه وسابغ النَّعماء
لاستطاعوا تمتُّعاً بالعطايا
دون شكرٍ للرزق عند الحباء
ولكان ابنُ آدم بعد هذا
مشبهاً بالبهيمة العمياء
تأكل الرِّزق دون حمدٍ وشكرٍ
عند إطعامها لربِّ السَّماء
قال: إنْ إلاّ أضلُ سبيلاً
من جميع الأنامِ دون اهتداء[3]

---

(١) شرح الصحيفة السجادية للسيد الشيرازي رحمه الله: ص١٨ ـ ١٩.
(٢) في ظلال الصحيفة السجادية للشيخ محمد جواد مغنية: ص٥٥ ـ ٥٧.
(٣) الصحيفة السجادية بنظم الشاعر المرحوم عبد المنعم الفرطوسي: ص٢٢.

مسؤولية الأب في بناء الأسرة

الزوجية في الخلق

يؤكد القرآن الكريم أن جميع الكائنات خلقت أزواجاً، فالحيوانات والنباتات خلقت من ذكر وأنثى رغم أنواعها العديدة، حتى تلك التي لا تبدو للعيان أنها على شكل أزواج.

وكشفت البحوث في مجال الجمادات والجزئيات والذرات عن حقائق بهذا الشأن، ونحن لسنا بصدد إثباتها أو نفيها، لكنّ موضوع الزوجية واضح للعيان ولا سيما في عالم الحيوانات والنباتات ولا توجد أية صعوبة في إدراك ذلك وإثباته.

إن الهدف من الزوجية هو التكامل، أي أن عملية الخلق ستبقى ناقصة فيما لو خُلقت الكائنات على شكل فرد إذ لا يمكنها طي طريق التكامل.

فالتكامل لا يتحقق إلاّ في ظل توحيد الأزواج، ولا يمكن الوصول إلى تكامل المجتمعات إلاّ من خلال توحيد الكلمة وهي من إحدى مظاهر الزوجية، ولا يمكن للإنسان والحيوان والنبات مواصلة الحياة إلاّ في ظلّ هذا الأمر.

مسؤولية الزواج

لابدّ ان نعرف أنه لا معنى للفردية في عالم البشرية، ولا يمكن للإنسان أن يسلك طريق السعادة بمفرده أبداً.

فالبشر خلقوا أزواجاً، ويجب على الإنسان أن يذعن لمسؤوليته في بناء أسرة بعد أن يصل إلى مرحلة البلوغ الجسمي والجنسي أو لنقل البلوغ العقلي والجنسي.

وتشير الفطرة إلى هذا الأمر أيضاً، ولا يمكن توفير ما يحتاجه الجسد أو الروح أو تدبير الحياة اليومية إلاّ من خلال الأسرة، فالإنسان مضطر لتشكيل أسرة من أجل أن يحقق أهدافه في الخير والسعادة والكمال.

يمثّل كلّ من الرجل والمرأة مشروعاً مكمّلا للآخر في ظل الزواج، إذ سيتمكنان من طي طريق السعادة.

وسوف يتعاونان معاً على رفع عيوبهما وليكونا سكناً لبعضهما البعض، والملاذ والملجأ عندما تواجههما المشاكل والصعوبات، كما ويكون الزواج سبباً لاستمرار النسل وبقاء الأجيال إضافة إلى دوره في منع العديد من الانحرافات.

أعراض العزوبة

لا يمكننا أن ندرك أهمية بناء الأسرة ومسؤوليتنا في هذا الجانب إلاّ متى ما عرفنا المصائب التي تجلبها العزوبة.

فما أكثر الانحرافات التي تسببها العزوبة! وما أكثر الأمراض الجسمية والروحية التي تظهر بسببها! وتدلّ الإحصاءات أن ٧٠٪ من الانحرافات تحدث بين الأعمار من ١٨ ـ ٢٥ سنة، ومن الطبيعي أن تنخفض هذه النسبة فيما لو تم الزواج خلال هذه السنوات.

فالعزّاب مهيأون للانحراف وارتكاب الجرائم، ويمثلون أهدافاً جيدة للمجرمين والمنحرفين الذين يبحثون عادة عن مثل هؤلاء الأشخاص.

من هم الذين يبحث عنهم العزاب المنحرفون من أجل إشباع غرائزهم؟ أليس هم النساء والفتيات؟

لقد أكّد الإسلام كثيراً على الزواج وترك العزوبة، وقد جاء في الحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

«رذّال موتاكم العزّاب».

وجاء في حديث آخر عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«أكثر أهل النار العزاب».

حق الزواج

لقد ذكر الزواج بأنّه حق من حقوق الفرد ولا يمكن لأي شخص مهما بلغ أن يمنع هذا الحق وذلك بسبب أهميته ودوره في سلامة النفس والجسم، ويمكن أن يكون هذا الحق جماعياً لأن المجتمع سيعيش بأمن وسلام في ظله، وتزول عنه مخاطر العزوبة والعزّاب وتتحقق عملية المحافظة على كرامة المجتمع وشرفه.

وطالب الإسلام ـ في ظل هذا الحق ـ الوالدين بتوفير الأرضية اللازمة لولدهما ـ سواء كان ذكراً أم أنثى ـ للزواج عندما يصل مرحلة البلوغ.

وذكرت الأحاديث الإسلامية عدداً من حقوق الأولاد على آبائهم منهما:

«ويزوجه إذا بلغ».

ومن الطبيعي أن يؤدي منع هذا الحق إلى ظهور عدد من الأمراض الجسمية أو النفسية وحرمان الشخص من اللذات الدنيوية المشروعة والقضاء على النسل والحرمان من حياة شريفة، وهذا ما لا يرضى به الإسلام أبداً.

التأكيد على الزواج

ثمة روايات وأحاديث إسلامية عديدة تؤكد على الزواج وبناء الأسرة وقبول المسؤولية، جاء عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج».

وهناك أحاديث كثيرة أخرى ترغّب الناس بالزواج منها:

ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«تزوجوا فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: مَنْ أحب أن يتبع سنتي فإن من سنتي التزويج».

ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من تزوج أحرز نصف دينه».

ـ وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«ركعتان يصليهما المتزوّج أفضل من سبعين ركعة يصليها أعزب».

كما وأشارت بعض الأحاديث الأخرى إلى أن الامتناع عن الزواج خوفاً من الفقر يمثل نوعا من الشرك:

«من ترك التزويج مخافة العيلة فقد ساء ظنه بالله عزّ وجل، إن الله عزّ وجل يقول:

((وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ))».

وأوصت الأحاديث أيضاً ذلك الشخص الذي لا يقدر على الزواج بالاستعانة بالصوم لكبح جماح غريزته أو السيطرة عليها.

ضرورة الحذر

يمثل الزواج نوعاً من المسؤولية التي لها أكبر الأثر في حياة الإنسان الحالية والمستقبلية.

وثمة محاذير عديدة أشارت إليها الأحاديث الإسلامية في باب الزواج منها:

ـ خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما في المسلمين فقال:

«أيها الناس إيّاكم وخضراء الدمن».

قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟، قال:

«المرأة الحسناء في منبت السوء».

ـ وجاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«اختاروا لنطفكم فإن العرق دساس».

وهذا دليل على انتقال الصفات الوراثية وأخلاق الوالدين إلى أولادهما.

ـ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«إذا تزوج الرجل المرأة لجمالها أو مالها وكل إلى ذلك، وإذا تزوجها لدينها رزقه الله المال والجمال».

ـ وقال إبراهيم الكرخي: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: إن صاحبتي هلكت وكانت لي موافقة وقد هممت أن أتزوج، فقال لي:

«أنظر أين تضع نفسك ومن تشركه في مالك وتطلعه على دينك وسرّك».

المعايير في مسؤولية الزواج

حدد الإسلام معايير معينة في الزواج وطالب الالتزام بها حتماً، منها العقيدة والإيمان والكفاءة والأخلاق... وتمثل هذه المعايير ضرورة ملحة من أجل حياة سليمة وشريفة.

كما رفض الإسلام العديد من المعايير السائدة عن الأمم الأخرى التي منها اختيار الزوجة لمالها وثروتها أو موقعها ومنصبها أو جمالها أو من أجل مصلحة معينة أو بسبب الإكراه أو الترحم والعطف عليها وغير ذلك، ووصفها بالأخطار التي تهدد حياة الأسرة في المستقبل.

وذكر الإسلام أيضاً بعض المحرمات على الرجل من أفراد عائلته وأسرته ومنع الزواج منهن وعدّ ذلك أمراً شرعياً ينبغي على المسلم الالتزام به وحذّر التزوج من المحارم.

كما حذّر الإسلام من تزويج الزناة وطالب باختيار الأصحاء لعملية الزواج والابتعاد عن المرضى ولاسيما أولئك المصابون بالأمراض النفسية والخلقية كالفساد وسوء الخلق، وأن يكون المتقدمون للزواج أسوياء من الناحية الفكرية والروحية.

هدف الزواج

ينظر الإسلام إلى الزواج بأنّه عمل هادف يريد تحقيق بعض المقاصد كالاستجابة للفطرة والغريزة، والعمل بسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والشعور بالسكن والراحة، والتكاثر واستمرار النسل والأجيال والوصول إلى مرحلة التكامل، وتحقيق المودة والحب والرحمة وغير ذلك.

إن أهداف الزواج عديدة وكثيرة للغاية رغم تحديد البعض لها في نقاط معينة كالعفة والطهارة مثلا وصون الإنسان بعيداً عن مختلف الأمراض، ولابدّ أن تؤخذ جميع تلك الأهداف بنظر الاعتبار.

وبشكل عام لابدّ أن نفرق بين الزواج والتجارة وهذا هو السبب المهم للعديد من المشاكل التي تحصل في الحياة الزوجية.

كما أن الزواج ليس وسيلة للتفاخر والتباهي وإلاّ فإنّ عاقبته الذلة والمهانة، وقد أشارت الأحاديث الشريفة إلى هذا المعنى أيضاً.

أهمية الأسرة

ينظر الإسلام باهتمام بالغ إلى الأسرة ويعدّها الحجر الأساس للمجتمع، ولابدّ أن يحصل البناء والتكامل الاجتماعي في ظل هذه الأسرة التي هي أساس ثبات المجتمع واستقراره ومسؤولة إلى حدّ كبير عن سعادته.

وتتآلف القلوب وتتوادد بسبب الزواج وتشكيل الأسرة، ويتم القضاء على الانزواء والانعزال ليحلّ مكانه البناء والإبداع.

فالأسرة هي أول مدرسة تربوية وأخلاقية، والمركز لنشوء العادات واكتساب المعلومات والتجارب، والوسط الذي يتم خلاله بناء عقل الطفل ونفسيته.

والأسرة هي المسؤولة عن التوجيهات الصحيحة والخاطئة، والوالدان هما أوّل مَنْ يقوم بتعليم الطفل وتوجيهه وبناء أفكاره الأساسية.

كما أن الزواج وتشكيل الأسرة يعّد نوعاً من العبادة، ووصفه البعض بأنّه من المستحبات المؤكّدة للأشخاص العاديين وأوجبوه على من يشعر أن عفته في خطر.

وورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

«ما بُني بناء في الإسلام أحبّ إلى الله عزّ وجل من التزويج».

وفي الحقيقة فإن الإنسان يقوم من خلال بناء الأسرة بأهم وظيفة وأخطرها وأكثرها نفعاً ألا وهي المساهمة في إيجاد التمدن البشري وتطويره.

ضرورة حماية الأسرة

تقع على الوالدين أولاً مسؤولية حماية الأسرة ثم على المجتمع والدولة فيما بعد، ويجب أن توضع القوانين الخاصة بحماية الأسر من الأخطار، وإنه لخطأ كبير أن تفقد الأسرة مكانتها وموقعها لتسير في طريق الانحراف والضلال.

ينبغي على الحكومة الإسلامية أن تهتم بالأسرة وتوفّر لها عوامل الاستقرار والبناء والازدهار، وأن تطلب في هذا الطريق من أصحاب الرأي والفكر توفير كل ما يعزز مكانة الأسرة وتقضي في نفس الوقت على كلّ ما يهدد أمنها واستقرارها.

المصدر: دور الأب في التربية، د. علي القائمي: ص١٩ ـ ٢٤.

العلمـــاء الحقيقيـــون يزدادون تواضعاً كلما ازدادوا علماً

روى الشيخ عبد الله المقمقاني في كتاب (تنقيح المقال) عن أبيه أن المولى البهبهاني سُئل عن الصلاة خلف (الشيخ يوسف صاحب الحدائق ـ وكانا معاصرين ـ.

فقال: لا تصح..

وسئل الشيخ يوسف عن الصلاة خلف البهبهاني؟ فقال:

تصح.. فقيل له:

كيف تصححها خلف من لا يصحح الصلاة بصلاتك؟!

قال: وأيّ غرابة في ذلك؟

إنّ واجبي الشرعي يحتّم عليّ أن أقول ما اعتقد، وواجبه الشرعي يحتّم عليه ذلك، وقد فعل كل منا بتكليفه وواجبه.. وهل تسقط عنه العدالة لمجرد أنه لا يصحح الصلاة خلفي؟!

للشيخ محمد جواد مغنية رحمه الله تعليق على هذه الرائدة وهو يقصد الشيخ يوسف البحراني:

أرأيت هذا القلب الكبير الذي لا يخفق بغير الإيمان؟.. أرأيت هذا الصدر الرحب الذي يتسع للعدالة، وإن تكن عليه لا له؟ أرأيت هذه النفس التي لا تعرف إلاّ الصدق والإنصاف والتواضع.

وليس من شك أنّ هذا المنطق غريب على أكثرية شيوخ هذا العصر.. لأن كل شيخ من هذه الأكثرية أو الكثرة يرى الدين مجسّما في شخصه بالذات.. فعدم الثقة به معناه عدم الثقة بالدين، وهذا عنده هو حدّ الكفر أو الفسق على الأقل.

أما من جمع بين الدين والعلم والعقل، أما من ينوب عن المعصوم حقاً ويمثله في حماية الشريعة وإحيائها فلا يرى في هذا المنطق أيّ غرابة ما دام الدين يحتم الصراحة وإعلان الحق، حتى ولو كان على النفس:

((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ...)).[1]

ولا أدري كيف يسمح أحدنا لنفسه أن يتكلم باسم الدين، ويدعي النيابة عن المعصوم، ويدعو الناس إلى الاقتداء به، مع العلم بأنه لا يقتدي بمن ادّعى النيابة عنه عندما يُمتحن بكلمة تشبه كلمة البهبهاني بحق الشيخ يوسف.. بل يتنكر لقائلها، ويبخسه جميع حقوقه، ويسلبه أظهر ما تحلى به من صفات، وإذا نصحه ناصح بالكف أو الاعتدال قال إن واجبي الشرعي يحتّم عليّ هذا وأكثر من هذا.

والآن ـ أيها القارئ ـ هل ظهر لك الفرق بين الأنانيين والمزيّفين الذين يكيّفون الدين حسب شهواتهم وأهوائهم، وبين صاحب الحدائق الذي اتقى الله حقاً، ونطق بكلمة الحق والإخلاص مؤثرا أمر الله ومرضاته على نفسه وهواه.

ونختم هذه الكلمة بالمقارنة التالية: سألت شيخاً عاد من النجف الأشرف إلى بلاده عاملة: هل بنيتم ـ سيادتكم ـ على الاجتهاد؟

فقال: ألمثلي يقال هذا؟!

وتعرض الشيخ يوسف صاحب الحدائق (توفي سنة ١١٨٦هـ) في كتاب (الدرر النجفية) ص٥٣ لمعنى الاجتهاد وللشروط المعتبرة في الفقيه، ولأقوال العلماء، ثم قال ما نصّه بالحرف الواحد: و(أنا أقول: وإن كنت ممن يقصر عن السباق في مضمار هؤلاء الفحول، ويكبو جواده عن اللحاق في ميدان تلك العقول).

وهكذا هم علماء مذهب آل البيت عليهم السلام يزدادون تواضعاً كلما ازدادوا علماً.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

المصدر: قصص وخواطر من أخلاقيات علماء الدين: ص٢٤١ ـ ٢٤٢، برقم ١٨٥.

الصداع

الصداع (بالإنجليزية: Headache) هو ألم في الرأس أو الفروة أو الرقبة، وقد يتحسن معظم الأشخاص لو غيروا أسلوب حياتهم وتدربوا على كيفية الاسترخاء أو بتناولهم أدوية له. وهناك الصداع التوتري أو النفساني الذي سببه تصلب العضلات بالكتفين أو الرقبة أو بفروة الرأس أو الفك. وهذا سببه الإجهاد والاكتئاب والقلق. وقد يكون لكثرة العمل والأشخاص الذين يتناولون مادة الكافيين في الشاي والبسي يمكنهم الشعور بالصداع لو لم يتناولوا جرعاتهم اليومية التي اعتادوا عليها. ومن الأسباب الشائعة لتولد الصداع نجد الرأس من المناطق الحساسة لأنها تضم الدماغ والعينين والأذنين وعظام الجمجمة وعضلات الوجه والجيوب الأنفية والشرايين وغيرها، وكل هذه الأعضاء قد تكون سبباً للصداع. وهناك بعض الأعضاء البعيدة عن الرأس التي يمكنها أن تثير نوبة الصداع. لهذه الاسباب يكون للصداع أشكال وأنواع. فقد يكون الصداع متقطعاً أو مستمراً. وقد يصيب الإنسان شهرياً أو أسبوعياً أو يومياً وقد تدوم النوبة عدة ساعات، وتختلف شدتها بين ألم خفيف وألم معتدل إلى الإحساس بألم شديد. وقد يصاحبه الغثيان والقيء واضطراب الرؤية وسوء المزاج. الصداع قد يكون عضوياً بسبب ضربة خفيفة على الرأس أو حمى، أو الأورام وارتفاع الضغط واضطرابات العين كالتهاب الملتحمة أو التهاب الجيوب الأنفية أو التهاب الأذن الوسطى ومشاكل الأسنان والإمساك وأعراض ما قبل الدورة الشهرية.

الوقاية

-النوم الكافي

-الأكل المفيد

-ممارسة الرياضة بانتظام.

- فرد الرقبة والجزء العلوي من الجسم. ولاسيما ولو كان العمل يتطلب الجلوس طويلا.

-ترك التدخين.

-تعلم كيف تسترخي وتنفس بعمق.

-التقليل من الجلوس أمام شاشة الكمبيوتر لأوقات طويلة.

العلاج

علاج الأصدعة يختلف باختلاف أسبابها، فلا بد من الكشف عن السبب أولا، ليكون العلاج الصالح، فالعين لا بد ان تفحص، من حيث القراءة المجهدة، أو الكتابة المتصلة الطويلة، لا سيما في الضوء الضعيف، وإلى أن تتيسر زيارة طبيب العيون لا بد من أن يمتنع من يعاني من الصداع عن قراءة الكتابة ذات الحروف الصغيرة على الورق الرخيص، وأن يمتنع عن القراءة في العربات والسيارات والقطارات. والعمل إن كان مرهقاً لا بد أن يوقف، والهم أن كان متكاثراً فلا بد لصاحبه من أن يتحول، وفترات الهمّ، كفترات العمل، لا بد أن تعطى فتراتها من راحة. والإمساك، إن كان يظن أنه سبب الصداع، يجب أن يعالج بحسبانه مرضاً قائماً بذاته. عندما يحدث الصداع دون الوقت واليوم الذي بدأ فيه وسجل ماذا أكلت خلال الـ ٢٤ ساعة. وكم من الوقت قضيته في النوم بالليل وفي ماذا كنت تفكر قبل بداية الصداع. وهل يوجد اجهاد في حياتك؟. ومدة الصداع. وماذا فعلت لتوقفه؟. ويمكن للصداع أن يخف لو ركنت للراحة وعيناك مغلقتان ورأسك مسنودة. واتباع طرق الاسترخاء تساعد أيضاً. ((كما أن التدليك ووضع شيء ساخن وراء أعلى الرقبة تفيد في تخفيف الصداع التوتري. ويمكن استعمال الأسبرين)) والأيبوبروفين والباراسيتامول. ولا يعطى الأسبرين للاطفال.

صدر حديثا عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية للعتبة الحسينية المقدسة الكتاب الموسوم بـ(نصرة المظلوم) وهو يحكي عن عملاق لم ترحمه عاديات السنين من النسيان والتهميش كما في عظماء لم يعيشوا لأنفسهم، بل عاشوا لقضيتهم، وهذا هو حسب المؤلف المرتهن بجذورات الذكرى ونفحات الخلود، فلله درّه من خالد مجهول تتطاول ذكراه بامتداد سنينه العجاف.